"المواقف والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين
خلال فترة صدر الإسلام"
(40 ق. ب-40 هـ/570 -660م)

"Attitudes and Relations between Muslims and Non-Muslims in Era Islam"

إعداد: إياد محمد إسماعيل أبو ربيع
1085489

إشراف: د. عامر بركات

برنامج التاريخ العربي الإسلامي
جامعة بير زيت

2013

"المواقف والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين
خلال فترة صدر الإسلام"
(40 ق. ب–40 هـ/570 –660م)

"Attitudes and Relations between Muslims and Non-Muslims in Era Islam"

إعداد: إياد محمد إسماعيل أبو ربيع

إشراف: د. عامر بركات

تاريخ المناقشة 9 /5 / 2013

لجنة الإشراف والمناقشة

د. عامر بركات (رئيسًا)

د. نظمي الجعبة (عضوًا)

د. محسن يوسف (عضوًا)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا – جامعة بير زيت

"المواقف والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين
خلال فترة صدر الإسلام"
(40 ق. ب–40 هـ/570 –660م)

"Attitudes and Relations between Muslims and Non-Muslims in Era Islam"

إعداد: إياد محمد إسماعيل أبو ربيع

إشراف: د. عامر بركات

تاريخ المناقشة 5/9 / 2013

لجنة الإشراف والمناقشة

د. عامر بركات (رئيسًا)

د. نظمي الجعبة (عضوًا) **د. محسن يوسف (عضوًا)**

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج التاريخ العربي الإسلامي من كلية الدراسات العليا – جامعة بير زيت

الإهداء

إلى أبي وأمي الحنونين

إلى إخواني وأخواتي

إلى "أبرار" شروق شمسي . . وعطف حناني . . وأمل حياتي

إلى فلذة كبدي ونور دربي ابنتي "ماريانا"

إلى كل من يعرف نفسه ويُقدّر الآخر

شكر خاص

أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل مَن علمني حرفًا، وأرشدني إلى طريق أو بـــاب معرفة، وأخص بالذكر الدكتور محسن يوسف الذي وإن لم يحالفني الحظ أن أدرس معه مساقًا من المساقات، إلا أني سعدت كثيرًا في حضور بعض محاضراته القيمـــة، والجلـــوس معـــه جلسات علمية في مكتبه، وأخيرًا أتقدم بأسمى التقديرات إلى أستاذي ومعلمي الدكتور عـــامر بركات الذي كان له الدور الأكبر في تشجيعي وتحفيزي لكتابة هذا البحث، وضـــرَب المثـــال الأروع في المثابرة والصبر حيث تحمّل معي المصاعب والمتاعب حتى وصل هذا البحث إلى حُلته النهائية، فله مني وافر الشكر والتقدير.

كما أشكر الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، الدكتور نظمي الجعبة، والـــدكتور محســـن يوسف، فلهم الشكر الجزيل على ما أبدياه من ملحوظات ماتعة نافعة.

المحتويات

الإهداء.....أ

شكر خاص.....ب

المحتويات..... ج

ملخص..... ه

Abstract.....ز

مقدمة..... ط

إشكالية البحث وفرضيته.....ي

أهمية البحث..... ك

مصادر البحث..... ك

منهجية البحث.....ل

محتوى البحث..... م

الفصل الأول: أتباع الديانات عند العرب قبل الإسلام:.....1

مقدمة:.....2

الوثنيون.....4

الأحناف.....6

الصابئون:.....10

اليهود.....11

النصارى.....13

المجوس:.....15

خاتمة.....15

الفصل الثاني: علاقة الرسول مع أتباع الديانات الأخرى في الفترة المكية.....17

علاقة الرسول مع الوثنيين.....18

علاقة الرسول مع الأحناف.....26

علاقة الرسول مع اليهود.....29

علاقة الرسول مع النصارى.....31

خاتمة.....36

الفصل الثالث: علاقة الرسول مع أتباع الديانات الأخرى في الفترة المدنية.....37

علاقة الرسول مع الوثنيين.....38

علاقة الرسول مع اليهود.....50

محاولات الرسول كسب اليهود:.....59

علاقة الرسول مع النصارى.....83

خاتمة.....90

الفصل الرابع: مواقف الخلفاء الراشدين من غير المسلمين 92
موقف أبي بكر الصديق من غير المسلمين 93
موقف عمر بن الخطاب من غير المسلمين 99
موقف عثمان بن عفان من غير المسلمين 118
موقف علي بن أبي طالب من غير المسلمين 120
خاتمة 124
خاتمة الدراسة 126
المراجع والمصادر 130

ملخص

يعدّ دين الإسلام حركة تقويمية في وجه المعتقدات والتصورات التقليدية، وقد صادف محمد قبل البعثة بعض المصلحين ممن عرفوا بالأحناف، وحينما أعلن عن نفسه رسولاً ونبيًا اعتبر نفسه مُتممًا لحركة المصلحين، فقد اعتبر الناس سواسيةً، وجعل أساس التفاوت بين الناس يقوم على معيار العمل الصالح، وقد كان خصمه في المرحلة المكية الوثنيين من العرب، فقد حاول استمالتهم لدعوته، فاستجاب القليل منهم، وعاداه أكثرهم مما اضطره إلى الخروج من مكة، لتبدأ مرحلة جديدة مع أتباع ديانة أخرى هم اليهود، ومع ذلك فقد استطاع محمد أن يقيم علاقات جيدة وطيبة مع نصارى الحبشة، واستمرت علاقاته مع النصارى في فترة المدينة قائمة على المسالمة. أما بالنسبة لليهود فقد بدأت علاقته معهم بالجدال بالتي هي أحسن، ومحاولة استمالتهم، لكن ما لبثت أن تدهورت العلاقات، وانتقلت إلى مرحلة الصراع العسكري الذي أدى إلى تقلص الوجود اليهودي. وأثناء فترة المدينة واجه الرسول القبائل العربية التي تباينت مواقفه معهم بحسب الظروف، من صلح أو معاهدة أو محاربة.

يهدف هذا البحث إلى دراسة موقف المسلمين من غير المسلمين في فترة الرسول والخلفاء الراشدين، في محاولة لرصد التغيرات التي أصابت تلك المواقف والعلاقات.

تضمن البحث أربعة فصول، أظهر الفصل الأول النشاط الديني في مكة قبل الإسلام كونها مركز الجزيرة العربية، ومحور الديانات، وأكد الفصل على العوامل الاقتصادية التي كان لها دور مهم في تعزيز تلك المراكز. وبيّن اتباع القبائل العربية لتلك الديانات وتأثرها بها. ومدى احتكاك محمد قبل البعثة بهذه الديانات. وأما الفصل الثاني فتعرض إلى علاقة محمد بعد البعثة مع أصحاب بعض تلك الديانات، إذ كان الخصم الرئيسي في تلك الفترة المشركين الوثنيين العرب. وكانت العلاقات في تلك الفترة مع اليهود والنصارى ضعيفة. كما

أوضح الفصل الثالث التغيرات في المواقف والعلاقات مع اليهود، فقد بدأ الرسول أسلوب الجدال الفكري، ولما لم يجدِ نفعًا تحول إلى الصراع العسكري، الذي أدى إلى إضعاف اليهود. وقد تم إيراد بعض الروايات التاريخية التي تبرز الموقف من أهل الكتاب وخاصة اليهود. وقد ظهر في الفصل جليًا استمرار العلاقات السلمية مع النصارى باستثناء موقف وحيد. أما بخصوص القبائل العربية فقد تفاوتت العلاقات معهم بين صلح ومعاهدة ومحاربة، بحسْب الظروف.

وقد عُرض في الفصل الرابع علاقة الخلفاء الراشدين وموقفهم من غير المسلمين وأهل الكتاب، حيث بقيت المواقف كما كانت عليه في الفترة المحمدية، وما جدّ هو ظهور حركات من الداخل حاولت الخروج على السلطة المركزية إبان فترة الخليفة أبي بكر والخليفة علي بن أبي طالب، وقد عرضنا خلال فترة الخليفة عمر ما اشتهر من أمر إجلاء اليهود، والعهدة العمرية، والشروط العمرية، ومناقشة آراء ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة، وقد لفتنا الانتباه إلى أن هذه الآراء إنما هي وليد ظروف استثنائية، ولا يمكن اعتبارها معيارًا أساسيًا في طبيعة العلاقات مع أهل الكتاب أو غير المسلمين.

وتنتهي الدراسة بتأكيد أن الإسلام كأي فكرة تولَد واحدة بسيطة لكن سُرعان ما تُعارض وتُرفض، ولعدم قوة تلك الفكرة فإنها تتسامح وتنسحب من المواجهة، لتكسب المناصرين والمؤيدين، ثم سرعان ما تكبُر هذه الفكرة فبقدر ما يقع عليها تهديدات يزداد أتباعها ومريدوها، حتى إذا ملكت القوة المتوازنة قابلت القوة بالقوة، لكن المميز لفكرة الإسلام إنها لا تفرط في استخدام القوة إلا في وجه المحاربين، فإذا انتصرت الفكرة وظفرت سامحت وغفرت.

Abstract

Islam religion is considered an evaluative movement in the face of traditional beliefs and perceptions. Prophet Mohammed met before being a prophet some of reformers known as Al-Ahnaf. When he declared himself as a messenger or prophet, he considered himself as a complementary and supplementary to reformers' movement . He considered all people as equal . He considered the base of variance between people based on good work. His opponents during the Meccan phase are the disbelievers from the Arabs. He tried to convince them to his invitation to Islam , some of them accepted his preaching to become Muslims and most of them attacked him which forced him to leave Mecca which led to emergence of new phase which is the Jewish stage. However, Prophet Mohammed could make relations with Al-Habasha Christians , these relations continued based on peace . According to Jews, his relation with them continued but based on controversary trying to attract them to be Muslims . However, these relations collapsed and transformed into military conflict which led to shrinking the presence of Jewish . During the Medina phase , Prophet Mohammed faced Arab Tribes , his positions with them varied according to conditions as reconciliation or treaty or wars/.

This study aims to study the position of Muslims from non-Muslims during Prophet Mohammed Period and Al-Rashedeen Caliphate, to pinpoint the changes which happened to these positions.

This research contained four chapters, the first one clarified the religious activity in Mecca before Islam as it is the center of Arab peninsula, center of religions. The chapter focused on the economic factors which have an important role in enhancing these centers. It also focused on followers of Arab tribes for those religions and being influenced by them as well as the extent of tribes treatment with prophet Mohammed before Islam. Second chapter, it focused on the relationship of Prophet Mohammed after being prophet with other religions as the major opponent in that period are Arab pagans disbelievers. The relationships in that period with the Jews and Christians are weak. The third chapter focused on changes in relationships with the Jews.

Prophet Mohammed started the method of intellectual controversary . when he found no result , he moved to military conflict which led to weakening the Jews. Some of historical narrations have been narrated which focused on the position from the Holly Quran people particularly the Jews. It has been cleared in this chapter the persistence of good relationship with the Christians except a sole position. Concerning the Arab tribes, the relationships had varied with them between peace, treaty and wars according to situations.

The fourth chapter , the relationships of Al-Rashedeen caliphates and their positions from non-Muslims and people of the Book. This situations remained as it was during the Mohammadan period. However, the new thing was the appearance of inside movements tried to deviate from the central authority during the phase of AbuBaker caliphate and the Caliphate Ali Bin Abi Taleb . During the phase of the caliphate Omer the position of dismissing the Jews , Omaria treaty , Omaria conditions, and discussing the opinions of Ibn Al-Qayem in his book the rules of people of the Book. We have paid attention to these opinions as they are the result of exceptional conditions and could not be considered as a basic standard concerning the nature of the relationships with the people of the Book or non-Muslims.

The study concluded in confirming that Islam as any new idea produced simple but quickly it is rejected . As Islam idea was not strong , it tolerates and withdrew from facing to attract the advocates and supporters. Then, this idea becomes big , as much as it is exposed to threatening , its followers increase till it gets the required force, it faces power with power . However, what is distinguished in Islam idea , that it does not exceed in using power except in the face of fighters, if the idea achieved victory , it tolerated and forgive.

مقدمة

ساد المجتمع العربي قبل الإسلام مجموعة من الأنظمة شكّلت الناس الـذين تجمعهـم روابط وعلاقات، حيث لعبت العلاقات الإنتاجية والمصالح المشتركة الـدور الأساسـي فـي تشكيل تلك العلاقات الاجتماعية، ومن أبرز هذه الأنظمة نظام القبيلة والعشيرة، ودار النـدوة والمزود والأحلاف.

ومع مجيء الإسلام بدأ ظهور تغير هائل في بناء العلاقات الاجتماعية، حيث سـاوى بين الناس، وبنى العلاقة بين أتباعه على أساس "الأخوة في الإسلام" متجاوزًا بذلك رابطة الدم والنسب والقبيلة، وتعامل الإسلام وأتباعه مع غير المسلمين المخالفين له في العقيـدة سـواء المشرك الوثني، أو المرتد في المرحلة المكية، أو المنافق أو أهل الكتاب في المرحلة المدنيـة على أساس الحرية الدينية والتسامح، إلا أن ظروفًا معينةً جعلت هذا الأساس يتحول إلى حالة اعتداء وعداء مما أدّى إلى صدام وقتال بين المسلمين وأعدائهم بغض النظر عن معتقـداتهم، لذا فموقف الإسلام منذ فترة الرسالة والخلفاء الراشدين من غير المسلمين بمستوياته المختلفـة كان مرهونًا بالظروف التي كانت تكتنف تلك الفترة.

إن عصر التنزيل وما صاحبه من تشريعات وتوجيهات نبوية، وسـلوك وتصـرفات الخلفاء الراشدين واجتهادات وآراء الرعيل الأول من المفكرين –الفقهـاء– يعتبـر المقيـاس الأساسي والتأسيسي الذي يُعرف من خلاله موقع غير المسلمين، وكيفية التعامل معهم.

تحاول هذه الدراسة التعرّف على مواقف المسلمين من مسألة غير المسلمين والكشف عن طبيعة العلاقة بينهما، الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية خلال فتـرة الرسالة والخلفاء الراشدين، من خلال الروايـات التاريخيـة والأحاديـث واجتهـادات وآراء المفكرين. وتحاول كذلك تفسير أسباب توتر العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين.

إشكالية البحث وفرضيته

تتعلق إشكالية الدراسة موقف المسلمين من غير المسلمين وعلاقتهم معهم، فعلى الرغم من وجود دعوة إسلامية للتعايش والتسامح مع غير المسلم في المجتمع، إلا أن تاريخ العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين تراوحت بين التعايش والتصادم. ومما يتصل بالإشكالية وينتج عنها تلك النظرة السائدة عند الكثيرين من أتباع الإسلام من أن الإسلام يقف موقف العداء من المخالف له في الفكر والرأي بالرغم من وجود العديد من النصوص التي تؤسس للتسامح والقَبول والاعتراف بالآخر المسالم.

وتفترض الدراسة أن تلك العلاقات التي يؤسسها المسلمون مع الآخر تقوم على أساس التسامح والاعتراف بالآخر واحترامه والتعاون معه فيما يصلح للبشرية، وأن تاريخ تلك العلاقات المتراوحة بين التعايش والتصادم كانت نتيجة ظروف لها خصائصها وملابساتها، أما النظرة السائدة عن موقف المسلمين من غير المسلمين، كانت نتيجة اعتبار الإسلام أعلى قدرًا ومكانةً من غيره من الديانات، وهذه النظرة "الاصطفائية" للـ "أنا" واعتقاده أنه يملك "الحقيقة المطلقة" جعلت منه ينظر إلى "الآخر" نظرة "استعلائية"، تطورت إلى "إقصائه" ومحاربته بطرق مختلفة. وجعلت فريقًا من المسلمين يرى أن الإسلام يحارب كل فكر ورأي مخالف له بحجة أنه "دين الحق" و"خاتم الرسالات" وأن غير المسلم "غير مُتقبَّل منه"، فتفترض الدراسة أن كل ذلك حاصل نتيجة سوء وقصور فهم وتصوّر.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث في أنه يتطرق إلى نظرة المسلم من "**غير المسلم**"، ومدى تأثير هذه النظرة على العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وبيان أسباب استقرارها أو توترها واضطرابها، وستحاول هذه الدراسة الكشف عن حقائق بعض الملابسات والأحداث في الفترة التاريخية محل البحث، من حيث التحقيق والتدقيق والتحليل والتفسير والخروج بفهم أدق وأوضح لتلك الملامح والأحداث.

مصادر البحث

يمكن حصر المصادر بصورة عامة بما يأتي:

1- **المصادر الدينية:** كالقرآن والتوراة العهد القديم وذلك دون التطرق إلى مدى صحة نسبة هذه النصوص إلى مصادرها الإلهية. حيث وردت نصوص في ترتيب وتحديد العلاقات والمواقف مع الديانات الأخرى. أما بخصوص العهد الجديد (الإنجيل) فلم أجد ما يُستعان به لهذا البحث.

2- **مصادر التفسير واللغة:** ويأتي في مقدمتها كتب تفسير القرآن، وكتب الحديث النبوي مع ضرورة بيان درجة صحة هذه الأحاديث التي تضم معلومات كثيرة عن أحداث ما قبل البعثة المحمدية وما بعدها واحتكاك محمد بالديانات السابقة، وتفصل العديد من المواقف والعلاقات بين الرسول محمد وغيره من أهل الكتاب، وكذلك كتب اللغة العربية حيث تسعفنا في التعرف على بعض المصطلحات الغريبة، وكذلك كتب الأدب التي تبيّن بعض صور العلاقات بين محمد وغيره محل البحث. ومن ثم بعض كتب الفقه لبيان بعض الأحكام المتعلقة بالبحث دون التوسع في الآراء الفقهية وبيان الراجح منها.

3- **المصادر التاريخية:** تناولت كتب السير والتراجم وكتب التاريخ العامة فترة الدعوة المحمدية، وتطرقت بشكل غزير وبالتفاصيل لعلاقات محمد مع غيره من أهل الديانات بشكل عام، وأهل الكتاب بشكل خاص.

4- **مراجع عربية وأجنبية: كما تم الاعتماد على العديد من الدراسات المعاصرة،** كدراسات محمد الجابري، وجواد علي، ومحمد المسيري، وكذلك دراسات بعض المستشرقين كأمثال مونتغمري وات، وكارين آرمسترونج، وردنسون، وواشنطن إيرفرنج.

منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي؛ حيث يتم رصد طبيعة العلاقات بين "المسلمين" و"غير المسلمين" منذ الدعوة المحمدية حتى نهاية فترة الخلفاء الراشدين، من حيث جمع نصوص المعاهدات والأحلاف، وتتبع الغزوات والحروب، من المصادر المختلفة، كما اعتمد على المنهج التاريخي التحليلي؛ حيث يتم تحليل الروايات التاريخية والأحداث والآراء من خلال كتب السيرة والمغازي وكتب التاريخ والفقه، كما يتم تحليل وتفسير تطوّر وتغيّر المواقف والعلاقات بين "المسلمين" و"غير المسلمين" خلال تلك الفترة.

محتوى البحث

الفصل الأول: يتناول عرضًا موجزًا عن أهم الديانات التي كانت سائدة في مكة والحجاز، مع الإشارة إلى أتباعها ومدى تأثيرها في المجتمع العربي، وأهم أسباب انتشارها في مرحلة ما قبل البعثة، وكذلك يتم التطرق إلى مدى احتكاك محمد قبل البعثة بهذه الديانات.

الفصل الثاني: يتم التحدث فيه عن علاقة محمد بالقبائل العربية في مكة وما جاورها ومحاولاته نشر دينه بينهم، وبيان مدى نجاحه في ذلك، ومن ثم التطرق إلى علاقات محمد مع النصارى التي وصفت بأنها مسالمة ومتعاطفة.

الفصل الثالث: يتطرق إلى واقع علاقات الرسول مع القبائل الوثنية المحيطة بالمدينة، وعلاقته مع اليهود وموقفه منهم بتوسع وإسهاب، وقد قُسمت مراحل علاقاته معهم إلى مرحلتيْن: مرحلة الجدال الفكري، ومرحلة الصراع العسكري، الذي انتهت معه السيطرة اليهودية. ويتناول عرضًا لمواقف وعلاقات الرسول مع النصارى التي وصفت بأنها مسالمة.

الفصل الرابع: يقف أمام مواقف الخلفاء الراشدين، عارضًا أهم علاقاتهم مع غير المسلمين ومع أهل الكتاب، بدءًا بالخليفة أبي بكر وموقفه ممن عُرف بـ"المرتدين"، ومن ثم الخليفة عمر وموقفه من اليهود بشكل خاص من حيث الإجلاء وعهدته وشروطه، ويتم التطرق إلى آراء ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة ومناقشتها، ومن ثم موقف الخليفة عثمان من النصارى بشكل خاص، من حيث معاهداته وزواجه منهم. ومن ثَمّ موقف الخليفة علي بن أبي طالب ممن عُرف بـ "السبئية" وسبب قتاله لهم.

الخاتمة: وفي الخاتمة يتوصل البحث إلى نتيجة مفادها أن موقف المسلمين من أهل الكتاب وغير المسلم يقوم على أساس الاعتراف بهم، وضمان الحرية الدينية التامة لهم، ومحاورتهم والجدال معهم بالتي هي أحسن. أما محاربتهم فهو خلاف الأصل وذلك نتيجة لمعاداتهم، وردًا

لمحاربتهم. وما اشتهر وعُرف من أن الإسلام يُحارب المخالفين له، إنما نتج عن فهم مغلــوط رآه بعض الفقهاء الذين قد تأثروا بالظروف التي اكتنفتهم، والأصل أن يؤخذ موقف الإســلام من نصوصه، لا من فهم بعض أتباعه.

الفصل الأول

أتباع الديانات عند العرب قبل الإسلام:

- **الوثنيون**
- **الأحناف**
- **الصابئون**
- **اليهود**
- **النصارى**
- **المجوس**

مقدمة:

شكلت الجزيرة العربية فضاءً لحرية الاعتقاد ومسرحًا للدعاية والتبشير، فقد كان شمال الجزيرة وجنوبها ميدانًا لصراع ديني/سياسي امتدادًا للحرب الضروس بين الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية، فكان الشمال الغربي للجزيرة العربية تحت النفوذ البيزنطي بينما كان الشمال الشرقي من الجزيرة تحت النفوذ الفارسي، أما الجنوب فقد كان خاضعًا أو متحالفًا مع هذا الجانب تارةً ومع الجانب الآخر تارةً أخرى. لذا لم يكن هذا الصراع السياسي العسكري ليترك الساحة الدينية والفكرية هادئة.

وهكذا تحوّل شمال الجزيرة العربية وجنوبها إلى مسرح نشاط الفرق الدينية والفلسفية كالآريوسية[1] في أنحاء كثيرة من الإمبراطورية البيزنطية، والنسطورية[2] في العراق وفارس،

---

[1] هم طائفة أصحاب آريوس وكان قسيسًا بالإسكندرية، ومن آرائه التوحيد المجرد، وأن عيسى عليه السلام عبد مخلوق، وأنه كلمة الله تعالى التي بها خلق السموات والأرض وكان في زمن قسطنطين الأول، باني القسطنطينية، وأول من تنصر من ملوك الروم وكان على مذهب آريوس. ابن حزم، علي بن أحمد. الفصل في الملل والأهواء والنحل. القاهرة: مكتبة الخانجي، ج1، ص47. وهي الطائفة التي عنيَ بها النبي لهرقل ملك الروم: "وإلا عليك إثم الأريسيين". انظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق. تاريخ اليعقوبي. ط6، بيروت: دار صادر، 1995م، ج1، ص135. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. السيرة النبوية. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1993م، ج3، ص501. الموسوعة العربية المسيحية. مج 21، 2010..

[2] طائفة تنتسب إلى نسطور بطريك القسطنطينية، ومن أهم آراء النسطورية أن الإله ثلاثة أسباب: الأب، والابن، والروح القدس، كلها لم تزل، وأن عيسى إله تام كله، وإنسان تام كله، ليس أحدهما كالآخر. لكن مريم لم تلد الإله بل ولدت الإنسان، وأن الله لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله. فعيسى عندهم كاتحاد الماء يلقى في الزيت فكل واحد منهما باقٍ بحسبه. انظر: ابن حزم. الفصل في الملل والأهواء والنحل. ج1، ص48. هو المعتقد الديني المسيحي الرافض لمجمع افسس المعقود سنة 431 م. يعرف داعمو كيرلس الأول النسطورية بأنها العقيدة القائلة بأن يسوع المسيح مكون من جوهرين يعبر عنهما بالطبيعتين وهما : جوهر إلهي وهو الكلمة، وجوهر إنساني أو بشري وهو يسوع ، فبحسب النسطورية لا يوجد اتحاد بين الطبيعتين البشرية والإلهية في شخص يسوع المسيح، بل هناك مجرد صلة بين إنسان والألوهة، وبالتالي لا يجوز إطلاق اسم والدة الإله على مريم العذراء بحسب النسطورية، لم تلد إلهًا بل إنساناً فقط حلت عليه كلمة الله أثناء العماد وفارقته عند الصليب، فيكون هذا المذهب بذلك مخالفاً للمسيحية التقليدية القائلة بوجود أقنوم الكلمة المتجسد الواحد ذو الطبيعتين الإلهية والبشرية.

واليعقوبية[3] في الشام وما بين النهرين التي تم إقصاؤها من المركز فغدت تقوم بأنواع من النشاط التبشيري. لذا اعتبرت الجزيرة ملجأً للفرق الدينية "المحرمة"، وأتاحت إمكانيات للتواصل والدعاية بسبب خلوها من دولة مركزية من جهة، وبفضل الطرق التجارية العالمية التي كانت تشقها من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق، من جهة أخرى.

ومما يجدر ذكره أن مكّة كانت تمثّل أهم مركز ديني تحج إليها القبائل العربية وتقيم حولها الأسواق. ليس لتبادل السلع فحسب بل للأشعار والأخبار والأفكار. لذا أمكن القول إن الجزيرة العربية لم تكن في مرحلة ما قبل الإسلام خارج العالم، بل شكلت مجالاً لتلاقي الموجات، التي كانت تنبعث باستمرار من "قطبي" العالم آنذاك[4].

تتبع فلسفة الدين عند الشعوب من خلال شعورهم بوجود قوى روحية فوق بشرية لها تأثير في تدبير حياتهم[5]، لذا فالشعوب على اختلافهم تكونت لديهم أفكار وعقائد، وجعلوا لأنفسهم تقاليد معينة لممارسة طقوسهم الدينية، وقد انقسمت الشعوب في تصور هذه القوى إلى ديانات سماوية وديانات غير سماوية. لذا لم تختلف أديان العرب عن باقي الشعوب، فقد انتشرت بينهم سائر الديانات، مع اختلاف في نسبة أتباع وتأثير كل ديانة. وقد لعب العامل الاقتصادي دورًا بالغ الأهمية في تفعيل انتشار بعض الديانات من أبرزها الوثنية.

---

[3] طائفة ترى أن عيسى هو الله نفسه؛ فهو عندهم كاتحاد الماء يلقى الخمير فيصيران شيئًا واحدًا. انظر: ابن حزم. الفصل في الملل والأهواء والنحل. ج1، ص51.

[4] الجابري، محمد عابد. مدخل إلى القرآن الكريم. ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ج1، ص49.

[5] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بغداد: جامعة بغداد، 1993م، ج11، ص 6.

الوثنيون

اعتقد عرب الحجاز كسائر الشعوب بوجود آلهة متأثرين بالتيارات العَقدية نتيجة نشاطهم التجاري، وأطلقوا على الآلهة أسماءً من بيئتهم، وتقرّبوا إليها لجلبِ منفعة ولدفع مفسدة، وقد أجمع المؤرخون أن عبادة الأوثان كانت هي الديانة السائدة في مكة وأنحائها قبيل ظهور الإسلام، وذكر المؤرخ هشام الكلبي[6] أنّ أوّل من غيّر دين النبي إسماعيل التوحيدي هو عمرو بن لحي[7]، وأورد قصة جلبه للأصنام من الشام إلى مكة[8]، وتجدر الإشارة إلى أنّ فكرة التبرّك والتعبّد بالأصنام الحجرية كانت موجودة قبل ذلك، فقد ذكر الكلبي أن الذي ألجأهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان "لا يظعن من مكة ظاعن –مسافر– إلا احتمل معه حجرًا من حجارة الحرم، تعظيمًا للحرم وصبابةً بمكة"[9]، فما قام به عمرو بن لحي إنما هو نقل أشكال جديدة من هذه الأوثان إلى مكة. وقد ورد في الحديث أنه أوّل من سيّب السوائب[10] فقد قال الرسول في ذلك: "رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يَجُرُّ قُصْبَهُ –أمعاءه– في النار وكان أوّل من سيّب السيوب"[11]. كما تجدر الإشارة إلى أن بعض هذه الأصنام دارت حولها روايات

---

[6] هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي، أبو المنذر: مؤرخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. كثير التصانيف له نيف ومئة وخمسون كتابًا، منها جمهرة الأنساب. الزركلي، خير الدين. الأعلام. ط15، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م، ج8، ص88.

[7] عمرو بن لحيى بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي، من قحطان: أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الاوثان. كنيته أبو ثمامة. وفي نسبه خلاف شديد. الزركلي. الأعلام.ج5، ص 84.

[8] الكلبي، هشام. الأصنام. تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1925م، ص1.

[9] المرجع السابق. ص1.

[10] مفردها سائبة؛ وهي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس فيهن ذكر سُيبت فلم يُركب ظهرها ولم يُجزّ وبرها ولم يُشرب لبنها إلا ضَيف. فما نتجت بعد ذلك من أنثى شُقّ أذنها ثم خُلي سبيلها مع أمها فلم يُركب ظهرها ولم يُجزّ وبرها ولم يُشرب لبنها إلا ضَيف. الدينوري، ابن قتيبة. غريب الحديث. تحقيق: عبد الله الجبوري، ط1، بغداد: مطبعة العاني، 1397هـ، ج1، ص 425.

[11] مسلم، ابن الحجاج. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، حديث رقم: 7372، ج8، ص 155.

شائنة كصنمي إساف ونائلة وهما كما في الرواية[12] عاشقان زنيا في الكعبة فمُسخا صنمين، أو روايات غريبة كوجود شيطانة التي قتلها خالد بن الوليد في صنم العُزّى. وبعضها اتخذ شكلاً مشابهًا لكعبة مكّة وأصنامها، مثل صخرة اللات التي كانت تعظمها كل العرب في ثقيف المنافسة لمكة تاريخيًا.

وقد نظر بعض العرب إلى الأصنام أنها لا تستحق العبادة، فقد أنشد بعضهم عن صنم سُواع بعد أن بال ثعلبان[13] على الصنم:

أَربٌّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب؟![14]

وقال راعي إبل لما نفرت إبله من صخرة سعد لما رأت دماء القرابين:

أتينا إلى سعدٍ ليجمع شملنا ... فشتتنا سعد. فلا نحن من سعد!

وهل سعد إلا صخرة بتنوفةٍ ... من الأرض، لا يَدعي لغي ولا رشد[15]

شكلت مكة أبرز مركز للديانة الوثنية، وقد عظمت عرب الحجاز الكعبة بعد حادثة الفيل، فجعلت كل قبيلة تضع حول البيت صنمها، حتى اجتمع حول الكعبة يوم فتح مكة (8هـ/630م) ستون وثلاثمائة نصب[16]. وقد شكّل هذا الأمر امتيازًا لأهل مكة على الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وأصبحت المرجعية الأولى والعليا لأهل مكّة؛ فقد كانت العرب تعظم قريشًا لسُكناها الحرم[17].

---

[12] الكلبي. الأصنام. ص1. ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية. تحقيق: طه عبد الرؤوف، بيروت: دار الجيل، 1411هـ، ج1، ص82.

[13] الثُعْلُبانّ هو ذكر الثَعْلَبّ وثُعْلُبانّ. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط1، بيروت: دار صادر، 1997م، ج1، ص 237.

[14] ابن كثير. السيرة النبوية. ج1، ص 374.

[15] الكلبي. الأصنام. ص 7.

[16] السيوطي، عبد الرحمن. الخصائص الكبرى. بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م، ج1، ص 442.

[17] ابن حجر، أحمد بن علي. فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، 1379هـ، ج6، ص 530.

الأحناف

تطلق عرب الحجاز قبل الإسلام على مَن كان على دين إبراهيم لقب "حنيف"؛ لأَنَّ إبراهيم حَنَفَ بمعنى مالَ إلى دينِ اللّه[18]، ولم تتمسّك العرب بشيء من دينِ إبراهيم غير الخِتان وحَجِّ البيت فكلٌّ من اختتن وحجّ قيل له حنيف.

ويبدو أن هذا المصطلح تطور مع الزمان وأصبح فيما بعد يُطلق على أفراد مالوا عن المجتمع الوثني وتمسكوا بالفعل ببقايا دين إبراهيم، فلم يعُد كل من اختتن وحج البيت من أهل الشرك حنيفاً، لتعبير القرآن: ﴿**وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[19]. بل الحنيف هو مَن أضاف إلى الاختتان وحج البيت الامتناع عن أكل ذبائح الأوثان، وكل ما أُهِلَّ لغير الله، وتحريم الخمر.

ويرى جواد علي أن لفظة "حنيف" في أصل اللغة تأتي بمعنى "صابئ"؛ أي خارج عن ملة قومه، وتارك لعبادتهم. ويستند فيما يذهب إليه على علماء أهل اللغة[20]، في أنها من الميل عن الشيء وتركه. وقد أطلقت على "المنشقين" على عبادة قومهم الخارجين عليها، كما أطلق أهل مكة على النبي وعلى أتباعه "الصابئ" و"الصباة"، فصارت علمًا على من تنكّر لعبادة قومه، وخرج على الأصنام. ولهذا نجد الإسلام يطلقها في بادئ الأمر على نابذي عبادة الأصنام، وهم الذين دعاهم بأنهم على "دين إبراهيم". ولما كان التنكر للأصنام هو عقيدة الإسلام لذلك صارت مدحًا لمن أطلق الجاهليون عليهم تلك اللفظة لا ذمًّا[21].

---

[18] ابن منظور. لسان العرب. ج9، ص 56.

[19] آل عمران: 67.

[20] يُقال صبَأَ فلان يَصبَأُ إذا خرج من دينه، انظر: ابن منظور. لسان العرب. ج9، ص 56.

[21] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج12، ص 30.

وقد ذكر المفسرون والمؤرخون أسماء جماعة من هؤلاء، غير أن ما ذكروه عنهم قليل، ويبدو أن المؤرخين لم يكونوا على بينة تامة وعلم واضح بأحوال الحنيفية وبآرائها وقواعد أحكامها وأصولها، وأنهم قد خلطوا في بعض الأحيان فيما بين الحنيفية وبين رهبانية النصارى. فأدخلوا في الحنيفية مَن وجب إخراجهم عنها. ومن هؤلاء ورقة بن نوفل (12 ق.هـ/611م)، فقد نصوا نصًّا صريحًا على أنه كان من العرب المتنصرة، ثم نجدهم مع ذلك يدخلونهم في جملة الأحناف[22].

لا يمكن القول إن الحنيفية كانت فرقة تتبع دينًا بالمعنى المفهوم من الدين، كدين اليهودية أو النصرانية، لها أحكام وشريعة تستمد أحكامها من كتب منزلة مقدسة أو من وحي نزل من السماء، على نحو ما نفهمه من الديانات السماوية. وكذلك لا يمكن الجزم فيما إذا كانت هذه العقيدة قد نسبت إلى شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام، قبل أن يبين القرآن ذلك ويؤكده، أم أن تلك النسبة إنما استقاها الرواة والمؤرخون من القرآن[23].

والذي يفهم من القرآن الكريم، هو أن الحنفاء هم أولئك الذين رفضوا عبادة الأصنام، فلم يكونوا من المشركين، بل كانوا يدينون بالتوحيد الخالص، وهو فوق توحيد اليهود والنصارى، فلم يكونوا يهودًا ولا نصارى، ﴿**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[24].

والمتتبع لأحوال هؤلاء النفر يجد أنه لم تجمع بينهم رابطة إنما كانوا نفرًا من قبائل متفرقة، لكن اتفقت فكرتهم في رفض عبادة الأصنام وفي الدعوة إلى الإصلاح. وهذا المعنى

---

[22] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج12، ص 25.

[23] الجابري، محمد عابد. مدخل إلى القرآن الكريم. ج1، ص57.

[24] آل عمران: 67.

واضح في آيات القرآن الكريم التي أشارت إلى الحنفاء. وما يهمنا هنا أولئك النفر الذين التقوا بمحمد قبل النبوة أو بعدها، سواء أسلموا أم لم يسلموا.

وممن أدرك محمدًا قبل النبوة من الأحناف **زيد** بن عمرو[25] (17 ق.هـ/606م)، فعن زيد بن حارثة قال: "خرج رسول الله وهو مُردفي إلى نصب من الأنصاب!!، فذبحنا له شاة ثم صنعناها له حتى إذا نضجت جعلناها في سفرتنا، ثم أقبل يسير وهو مُردفي في يوم حار من أيام مكة، حتى إذا كنا بأعلى الوادي لقيه زيد بن عمرو بن نفيل فحيا أحدهما الآخر بتحية الجاهلية. فقال له رسول الله: ما لي أرى قومك قد شنفوا[26] لك؟ فقال: أما والله إن ذلك بغير نائرة[27] كانت مني إليهم، ولكني أراهم على ضلالة، فخرجت أبتغي هذا الدين حتى قدمت على أحبار يثرب فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به. فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي. فخرجت حتى أقدم على أحبار خيبر فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به. فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي. فخرجت حتى قدمت على أحبار فدَك فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به. فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي. فخرجت حتى أقدم على أحبار أيلة فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به. فقلت: ما هذا بالدين الذي أبتغي. فقال لي حبر من أحبار الشام: أتسأل عن دين ما تعلم أحدًا يعبد الله به إلا شيخًا بالجزيرة، فخرجت فقدمت عليه فأخبرته بالذي خرجت له. فقال: إن كل مَن رأيت في ضلال. إنك تسأل عن دين هو دين الله ودين ملائكته، وقد خرج في أرضك نبي

---

[25] زيد بن عمرو(ت: 17 ق هـ): هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى، القرشي العدوي: نصير المرأة في الجاهلية، وأحد الحكماء. وهو ابن عم عمر بن الخطاب. لم يدرك الإسلام، وكان يكره عبادة الأوثان ولا يأكل مما ذبح عليها. ورحل إلى الشام باحثًا عن عبادات أهلها، فلم تستميله اليهودية ولا النصرانية، فعاد إلى مكة يعبد الله على دين إبراهيم. وجاهر بعداء الأوثان، فتألب عليه جمع من قريش، فأخرجوه من مكة. وكان عدوا لوأد البنات، لا يعلم ببنت يراد وأدها إلا قصد أباها وكفاه مؤنتها، فيربيها حتى إذا ترعرعت عرضها على أبيها فإن لم يأخذها بحث لها عن كفؤ فروجها به. توفي قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنين. الزركلي. الأعلام. ج3، ص 60.

[26] أي أَبْغَضوه وشَنِفَ له شَنَفاً إذا أَبْغَضه. انظر: ابن منظور. لسان العرب. ج9، ص 183.

[27] أي عداوة وشحناء.المرجع السابق. ج5، ص 240.

أو هو خارج يدعو إليه، ارجع فصدقه واتبعه وآمن بما جاء به، فلم أحس نبيًا بعد. وأناخ رسول الله البعير الذي تحته، ثم قدمنا إليه السُّفرة التي كان فيه الشواء. فقال: ما هذا؟ قلنا: هذه الشاة ذبحناها لنصب كذا وكذا. فقال: إني لا آكل شيئًا ذبح لغير الله، ثم تفرقنا. وقد مات زيد بن عمرو بن نفيل قبل أن يبعث النبي"[28]. وفي رواية البخاري: "فأبى –زيد– أن يأكل منها"[29]. وفي رواية أخرى ثم قال زيد: "إني لستُ آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه. وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: "الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكارًا لذلك وإعظامًا له"[30]. ومما رُوي أن رسول الله سئل عن زيد بن عمرو، فقال: "يُبعث أمة وحده يوم القيامة"[31]. وقال عنه: "رأيته في الجنة يسحب ذيولاً"[32].

ويذكر بعض أهل الأخبار أن محمدًا قد أدرك قِس بن ساعدة[33] (23 ق.هـ/600م) قبل نبوته، فلما قدم وفد إياد على النبي قال: "يا معشر وفد إياد، ما فعل قس بن ساعدة الإيادي؟ قالوا: هلك يا رسول الله. قال: لقد شهدته يومًا بسوق عكاظ على جمل أحمر يتكلم

---

[28] النسائي، أحمد بن شعيب. سنن النسائي الكبرى. تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991هـ، كتاب المناقب، زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه، حديث رقم: 8188، ج5، ص 54.

[29] البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط3، بيروت، دار اليمامة، كتاب الذبائح والصيد، باب ما ذبح على النصب والأصنام، حديث رقم: 5075، ج17، ص 166.

[30] المرجع السابق. كتاب المناقب، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، حديث رقم: 3540، ج12، ص 197.

[31] أبو يعلى، أحمد بن علي. مسند أبي يعلى. تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، دمشق: دار المأمون للتراث، 1984م، حديث رقم: 7212، ج13، ص 137. قال حسين سليم أسد: إسناده حسن.

[32] الفاكهي. محمد بن إسحاق. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، ط2، بيروت: دار خضر، 1414 هـ، ج6، ص 205.

[33] قس بن ساعدة (ت: 23 ق هـ): هو قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد: أحد حكماء العرب، ومن كبار خطبائهم في الجاهلية. كان أسقف نجران، ويقال: إنه أول عربي خطب متوكئًا على سيف أو عصا، وأول من قال في كلامه "أما بعد". وكان يفدُ على قيصر الروم زائرًا فيكرمه ويعظمه. وهو معدود في المعمّرين، طالت حياته وأدركه النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، ورآه في عكاظ. الزركلي. الأعلام. ج5، ص 196.

بكلام معجب منمق لا أجدني أحفظه. فقام إليه أعرابي من أقاصي القوم فقال: أنا أحفظه يا رسول الله. قال: فسُرّ النبي بذلك"[34]. وقال عنه: "رحم الله قسًّا! إنه كان على دين أبي إسماعيل بن إبراهيم"[35].

الصابئون:

وردت لفظة "صبأ" في النصوص العربية الجنوبية بمعنى مالَ وتأثر بشيء ما. وكانت قريش تسمي النبي صابئًا وأتباعه الصّباة. أي الخارجين على دين قومهم. وهي تستعمل لفظة الصابئة في كثير من الأحوال في معنى حنفاء، كالذي نراه في ربطهم إبراهيم بهاتين الديانتين، وعدّهم قدماء الصابئة في جملة الحنفاء، فإن هذا يدل على أن المراد من الصابئة بين العرب عند ظهور الإسلام هم المنشقون الخارجون على ديانة قومهم، أي على عبادة الأوثان والمنادين بالتوحيد. وأما ما نراه اليوم من إطلاق الصابئة على أتباع الطائفة المعروفة، فإنما حدث بعد الإسلام. ومعنى ديانتهم مشتق من اللغة المندائية بمعنى غطّ أو غطس في الماء، وهي من أهم شعائرهم الدينية، وهم طائفة تدعو إلى الإيمان بالله، ولهم كتاب مقدس يُسمى "الكنزا ربا" الكنز العظيم، ويؤمنون بعدد من الأنبياء، ولديهم بعض الأحكام[36].

---

[34] ابن كثير. السيرة النبوية. ج1، ص 141.

[35] الهندي، علي بن حسام. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، ط5، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981م، حديث رقم: 34071، ج12، ص 77.

[36] سباهي، عزيز.أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية. دمشق: منشورات المدى، 1996م، ص 170.

وإطلاق قريش لفظة الصابئ أو الصباة على المسلمين بدلاً من تسميتهم بمسلمين قضية مهمة جدًا، يجب الاهتمام بها[37]. وقد اعتبر القرآن الصابئين[38] فرقة مقبولة بشروط: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم أجرهم عند ربهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[39].

اليهود

سكن اليهود في مواضع عديدة معروفة تقع بين فلسطين ويثرب، كما سكنوا في اليمن وفي اليمامة. وكان تجار منهم يقيمون في مكة وفي مواضع أخرى من جزيرة العرب للاتجار وإقراض المال بربا فاحش للمحتاجين إليه. ولم يترك يهود جزيرة العرب لهم أثرًا مكتوبًا يتحدث عن ماضيهم فيها. كذلك لم يصل إلينا أن أحدًا من المؤلفين والكتبة العبرانيين ذكر شيئًا عن يهود الجاهلية[40]. فمصادر تأريخ اليهود في جزيرة العرب متوفرة في القرآن ومؤلفات المسلمين من كتب حديث وسِير وأخبار[41].

---

[37] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج12، ص 278.

[38] في الصابئين سبعة أقوال: **أحدها:** أنه صنف من النصارى ألين قولاً منهم، وهم السائحون المحلَّقة أوساط رؤوسهم، روي عن ابن عباس. **والثاني:** أنهم قوم بين النصارى والمجوس، ليس لهم دين، قاله مجاهد. **والثالث:** أنهم قوم بين اليهود والنصارى، قاله سعيد بن جبير. **والرابع:** قوم كالمجوس، قاله الحسن والحكم. **والخامس:** فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور، قاله أبو العالية. **والسادس:** قوم يصلون إلى القبلة، ويعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، قاله قتادة. **والسابع:** قوم يقولون: لا إله إلا الله فقط، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي، قاله ابن زيد. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير. ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ، ج1، ص74.

[39] البقرة: 62.

[40] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج12، ص 91.

[41] المرجع السابق. ج12، ص 87.

ويذهب اليعقوبي إلى أن يهود شبه الجزيرة العربية من أصول عربية، أي أنهم عرب تهوّدوا[42]. وذكر ابن هشام قصة تهوّد قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير[43].

ومن أسباب تهوّد بعض العرب أن المرأة إذا كانت مقلاتًا – قليلة الولد– في الجاهلية تنذر إن عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم[44]، وذكر المؤرخون أيضًا أن ناسًا من الأنصار كانوا مسترضعين في بني قريظة وغيرهم من يهود، فتهوّدوا، وأن من الأنصار من رأى في الجاهلية أن اليهودية أفضل الديانات، فهوّدوا أولادهم، فقد كان إذن بين يهود جزيرة العرب، عرب دخلوا في دين يهود[45]. والظاهر أن بعض الشخصيات تهوّدت إما بتأثير التبشير، وإما باختلاطها ودخولها في عشائر يهودية جاورتها فتأثرت بديانتها.

ويرى المؤرخ الإسرائيلي ولفنسون أن يهود جزيرة العرب كانوا في معزل وانفصال عن بقية أبناء دينهم، وأن اليهود الآخرين لم يكونوا يرون أن يهود العربية مثلهم في العقيدة، بل رأوا أنهم لم يكونوا يهودًا؛ لأنهم لم يحافظوا على الشرائع الموسوية ولم يخضعوا لأحكام التلمود، ولم تتوفر عند اليهود النية على نشر الدعوة الدينية بطريقة مباشرة، وأن الأمة الإسرائيلية لم تمِلْ بوجه عام إلى إرغام الأمم على اعتناق دينها، وأن نشر الدعوة الدينية من بعض الوجوه محظور على اليهود[46].

---

[42] اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي. ج1، ص101.

[43] راجع تفاصيل القصة انظر: ابن هشام. السيرة النبوية. ج1، ص133.

[44] أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. بيروت: دار الكتاب العربي، كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الإسلام، حديث رقم: 2684، ج3، ص 11. قال الألباني: صحيح.

[45] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج12، ص91.

[46] ولفنسون، إسرائيل. تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. مصر: مطبعة الاعتماد، 1927م، ص 13.

لم تكن في مكة جالية يهودية كبيرة؛ حيث لم تذكر المصادر التاريخية ولا القرآن الكريم احتكاكًا بينهم وبين محمد كما حدث في يثرب، ومن المحتمل أن المستقرين منهم بمكة كانوا أفرادًا قلائل[47].

النصارى

تطرح النصرانية نفسها كديانة عالمية ينبغي نشر تعاليمها لإنقاذ البشرية، فلذلك كان دخول النصرانية إلى الجزيرة العربية بعدة وسائل منها التبشير بوساطة بعض النساك والرهبان الذين هربوا للعيش فيها بعيدًا عن ملذات الدنيا، وكذلك عن طريق التجارة، والرقيق ولا سيما الرقيق الأبيض المستورد من أقطار كانت ذات ثقافة وحضارة[48].

وبسبب التبشير والأعمال الدينية دخلت بعض القبائل العربية في النصرانية، كالدعاء بإنجاب ولد، أو شفاء من أمراض، وقد أثرت الأديرة تأثيرًا مهما في تعريف التجار العرب والأعراب بالنصرانية. فقد وجد التجار في أكثر هذه الأديرة ملاجئ يرتاحون فيها ومحطات يتجهزون منها بالماء[49].

وقد ذكر اليعقوبي مَن تنصّر من أحياء العرب "فقوم من قريش من بني أسد بن عبد العزى، منهم: عثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى، وورقة بن نوفل بن أسد، ومن بني

---

[47] الشريف، أحمد إبراهيم. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم. بيروت: دار الفكر العربي، ج1، ص 197.

[48] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج12، ص 163.

[49] المرجع السابق. ج12، ص 165.

تميم بنو امرؤ القيس بن زيد مناة، ومن ربيعة بنو تغلب، ومن اليمن طيء، ومذحج، وبهراء، وسليح، وتنوخ، وغسان، ولخم"[50].

وتُعدّ طيء من القبائل التي وجدت النصرانية سبيلاً إليها، غير أن هذا لا يعني أن النصرانية كانت هي الغالبة على هذه القبيلة، فقد كان قوم منها يتعبدون للصنم الفُلس، أي أنهم كانوا على الشرك[51].

يذكر المؤرخون التقاءً غير مباشر لمحمد وهو غلام مع بعض الأحبار الذي اشتهر باسم بحيرا الراهب[52] أثناء سفره مع عمه إلى الشام. وزعموا أن زبيرًا وتمامًا ودريسًا، وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله في ذلك السفر أشياء، فأرادوه، فردهم عنه بحيرا، وذكرهم الله، وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته، أنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه، حتى عرفوا ما قال لهم، وصدقوه بما قال، فتركوه وانصرفوا!![53]. ولكن روايات هذا اللقاء لا تثبت فقد أنكرها الذهبي[54] وابن كثير[55].

---

[50] اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي. ج1، ص 101.

[51] الواقدي، محمد بن عمر.المغازي. تحقيق: مارسدن جونس، بيروت: عالم الكتب، ج1، ص7.

[52] ذكر المسعودي أن اسم الراهب سرجس. انظر: المسعودي، علي بن الحسين. مروج الذهب. مصر: دار الطباعة العامرة، ج1، ص 26.

[53] ابن إسحاق، محمد. السيرة النبوية.تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ج1، ص19.

[54] الذهبي، محمد بن أحمد. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1987م، ج1، ص 57.

[55] ابن كثير. البداية والنهاية. ج2، ص 348.

المجوس:

تذكر المصادر أن عبدة النار قد تحولوا في الجزيرة إلى يهود أو نصارى[56]. ومما ذُكر أن سلمان الفارسي (36ه/656م) –أحد صحابة محمد– كان في الأصل مجوسيًا[57]. لا يوجد مصدر يؤكد احتكاك المسلمين مع المجوس في الفترة المكية، إذ كانت جزيرة العرب آنذاك خالية من عبادة النار، أما في مرحلة الخلفاء فقد ذكر الخليفة عمر بن الخطاب المجوس، فقال: "ما أدري كيف أصنع في أمرهم"؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أشهد لسمعت الرسول يقول: "سُنّوا بهم سُنّة أهل الكتاب"[58].

خاتمة

شكّل مجتمع مكة خليطًا من المعتقدات ومزيجًا من الديانات، وقد أثّر ذلك بطبيعة الحال في التصوّرات والسلوكيات، وقد تبين أن الجزيرة العربية مثّلت فضاءً واسعًا لحرية الاعتقاد ومسرحًا للدعاية والتبشير، كما أثر العامل الاقتصادي في ذلك ولعبت الطرق التجارية العالمية دورًا هامًا في تعزيز المراكز الدينية.

شكلت الديانة الوثنية المركز الأول في المجتمع المكي، حيث لعب العامل الاقتصادي دورًا في ذلك، ولم تكن معظم قناعات العرب تتجه إلى اعتبار الأوثان أربابًا، وإنما اتخذوها وسائل لتوصلهم إلى الإله الواحد، كما اتضح أن المجتمع المكي لم يخلُ من حركات دينية تصحيحية –كالأحناف–ظهرت في فترة من الفترات لتعالج بعض أو العديد من التجاوزات

---

[56] انظر تفاصيل الخبر. ابن هشام. السيرة النبوية. ج1، ص146.

[57] ابن كثير. البداية والنهاية. ج2، ص 380.

[58] ابن شبّه، عمر. تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية). تحقيق: فهيم محمد شلتوت، من منشورات دار الفكر، ج3، ص853.

التي ظهرت نتيجة تطور الأوضاع الاقتصادية التي أثّرت حتمًا على القيم الاجتماعية، كما يؤكد العرض أنّ محمدًا قد التقى بعضهم قبل البعثة.

وتبينّ من العرض أن أتباع الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية في مكة كانوا أقلية وتأثيرهم شبه معدوم، وكانوا إما تجارًا أو مبشرين خاصة النصرانيين. أما بخصوص الصابئة والمجوسية. فلم تورد المصادر انتشارها كديانات، وإنما تطرق إليها القرآن الكريم في سياق ذكره الديانات السماوية.

الفصل الثاني

علاقة الرسول مع أتباع الديانات الأخرى في الفترة المكية

- علاقة الرسول مع الوثنيين
- علاقة الرسول مع الأحناف
- علاقة الرسول مع اليهود
- علاقة الرسول مع النصارى

علاقة الرسول مع الوثنيين

بدأ محمد دعوته كنبي مرسل من الله إلى أهل مكة فدعاهم إلى نبذ الأوثان وعبادة الإله الواحد، فقد أعلن ذلك صراحة من خلال القرآن: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[59]. وقد كان أهل مكة وما حولها من الوثنيين يقرّون بالإله الواحد: ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[60]. وكان موقف الوثنيين من الأصنام أنها وسائل للتقرب لله الواحد: ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[61].

منذ اللحظة الأولى التي أعلن بها محمد نبوته، استهجن بعض سادة مكة تلك الدعوة الجديدة، فقد ذكر المؤرخون أن محمدًا وقف على الصفا فقال: "يا صباحاه". فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: مالك؟ فقال: "أرأيتُكم إن أخبرتُكم أن العدوَّ مصبِّحكم، أو ممسِّيكم، أما كنتم تصدقوني"؟ قالوا: بلى. قال: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد". قال أبو لهب: تَبًا لك، ألهذا دَعوتَنَا؟[62].

وبعد مدة ثلاث سنين تقريبًا[63] من إعلان النبوة أمام القرشيين بدأ محمد مرحلة جديدة حيث أعلن دعوته أمام الناس في أحد المواسم، وهذا لا يعني أن دعوته خلال الفترة الماضية كانت سرّية، و"لما بادى محمد قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم

---

[59] سورة الإخلاص.

[60] لقمان: 25.

[61] الزمر: 3.

[62] الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك والأنبياء. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مصر: دار المعارف، 1962م، ج1، ص 398 . البخاري. صحيح البخاري. كتاب التفسير، باب قوله: {وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب}، حديث رقم: 4590، ج15، ص 359.

[63] ابن هشام. السيرة النبوية. ج2، ص97.

يردوا عليه، حتى ذكر طواغيتهم[64]، وآلهتهم وعابها وذلك في السنة الخامسة من النبوة"[65]، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته[66]. وقد أورد القرآن محاربة الديانة الوثنية في آيات عديدة منها: ﴿**فَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**﴾[67].

رأى أهل قريش أن الدعوة إلى دين جديد مرهون باحترام باقي الديانات، وكل من لا يعترف بالتعددية الدينية يُطرد، فقد ذكر المؤرخون أن زيدَ بن عمرو بن نفيل وهو من الأحناف، لما أنكر على الناس عبادة الأوثان، لم يصنعوا به شيئًا، لكنه لما بدأ يُحرّض على عبادة الأصنام والذبح على النُّصب، طردوه من مكة[68]. وكان هذا مصير كل من يُعادي الديانات. ولما سلك محمد ما مارسه زيد بن عمرو أراد القريشيون أن يُخرجوه من مكة، لكنهم رأوا اتباع سياسة "ضبط الأعصاب" لمنزلة عمه أبي طالب.

ذكرت بعض مصادر كتب السيرة بأن سادات مكة دخلوا في مفاوضات مع محمد وعرضوا عليه إغراءات[69]، ثم رأوا أن يُكلّموا فيه عمه أبا طالب، فلم يُسلمه لهم، ولم يمنع

---

[64] وات، مونتغمري. محمد في مكة. تعريب: شعبان بركات، بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ص167.

[65] حقي، إسماعيل. تفسير روح البيان. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج9، ص 172.

[66] ابن هشام. السيرة النبوية. ج1، ص 263.

[67] النجم: 19-23.

[68] انظر تفاصيل القصة: ابن كثير. البداية والنهاية. ج3، ص 80.

[69] هارون، عبد السلام. تهذيب سيرة ابن هشام. بيروت: مؤسسة الرسالة، ص76. ابن كثير. البداية والنهاية. ج2، ص 297.

محمدًا من نشر دعوته، فلما رأوا منه ذلك عرضوا على أبي طالب رجلاً[70] عاقلاً جميلاً بدل محمد على أن يُسلمهم إيّاه، فأبى قائلاً: "والله لبئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأُعطيكم ابني تقتلونه؟! هذا والله ما لا يكون أبدًا"[71]. ثم تصاعدت التوترات بين محمد وأتباعه وبين سادات قريش، فواجهت دعوة محمد الاضطهاد؛ من حملات إعلامية تحذّر من دعوته، ومن حملات إهانة وعقوبات للضعفاء، مما اضطره إلى إرسال بعض أتباعه إلى الحبشة (8 ق.هـ/615م) التي كانت تمثل في المجال الحجازي ملجأً سياسيًا[72]، وقد بلغت المواجهة ذروتها في إعلان المقاطعة (6 ق.هـ/617م) ضد محمد ومن يقف في صفّه[73]. ثم بعد وفاة أبي طالب (3 ق.هـ/620م) تجرأ سادة قريش على محمد فحاولوا اغتياله، فما كان منه إلا أن هاجر إلى يثرب. وقد اعتبر هشام جعيط[74] مؤامرة قتل النبي وبحث قريش عنه لا سند لها في الواقع[75]. وإنما الحاصل هو إخراجه.

وُصفت "قريش" ونُعتت بتكبرها حتى قيل: "هذه عُبية قريش"[76]. وقد حاول الرسول التخلص من العصبية القبلية فقال: "إن الله عز وجل قد أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب، ليدَعَنّ رجال فخرهم بأقوام،

---

[70] عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي. مات كافرًا ولم يسلم، بعثته قريش إلى النجاشي، فجرت له معه قصة فأصيب بعقله وهام مع الوحش. قال ابن حجر: "وقد بينت أنّه ممن دعا عليهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم لما وضع عقبة بن أبي معيط سلا الجزور على ظهره وهو يصلي". ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، بيروت: دار الجيل، 1412 هـ، ج3، ص171.

[71] ابن هشام. السيرة النبوية. ج2، ص 102.

[72] فازيو، نبيل. الرسول المُتخيَّل قراءة نقدية في صورة النبي في الاستشراق (مونتغمري واط ومكسيم رودنسون). بيروت: منتدى المعارف، 2011م، ص 266.

[73] ابن هشام. السيرة النبوية. ج2، ص 195.

[74] مفكر تونسي معروف، ولد في تونس عام 1935م من عائله متدينة، درس في الصادقية بتونس، وتابع دراسته بباريس، وأقام فيها فتره طويلة، ثم أنجز بحثيه المشهورين: (الشخصية والصورة العربية الإسلامية) و(أوروبا والإسلام)، وله أطروحة أكاديمية بعنوان: (الكوفة في القرن الأول الهجري).

[75] جعيط، هشام. السيرة النبوية في مكة(2): تاريخية الدعوة المحمدية. بيروت: دار الطليعة، 2007م، ص319.

[76] ابن منظور. لسان العرب. ج1، ص 572.

إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الْجِعْلاَنِ[77] التي تدفع بأنفها النتن"[78]. إلا أن تلك المحاولات لم تنجح، فبيّن الرسول أن العصبية في العرب لن تُترك، فقال: "أربع لا تدعهن أمتي: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت"[79].

ومن ضمن تلك العصبيات نظرة الحضري إلى الأعرابي، فهي نظرة استجهال وازدراء، إذ نظر الحضري إلى نفسه نظرة فيها علو واستعلاء. فورد أن الأعرابي إذا قيل له: يا عربي، فرح بذلك وهشّ له، والحضري إذا قيل له: يا أعرابي! غضب له[80]. ومن الأمثلة على ذلك ما ذكروه عن عيينة بن حصن الفزاري[81]، من أنه كان أحمقًا مطاعًا، دخل على النبي من غير إذن وأساء الأدب فصبر النبي "على جفوته وأعرابيته"[82].

ولقد ورد في القرآن ما يفيد أن الأعراب فيهم تلك الجفوة والغلاظة، ولكنهم ليسوا جميعًا كذلك: ﴿**الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ**

---

[77] الجِعلان: حيوان معروف كالخنفساء. المرجع السابق. ج11، ص110.

[78] أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، حديث رقم: 5118، ج 4، ص 492. قال الألباني: حسن.

[79] الحاكم، محمد بن عبد الله. المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م، كتاب الجنائز، حديث رقم: 1413، ج1، ص539.

[80] ابن منظور. لسان العرب. ج1، ص 586.

[81] عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن فزارة الفزاري أبو مالك، يُقال كان اسمه حذيفة فلقب عُيْينة؛ لأنه كان أصابته شجّة فجحظت عيناه، له صحبة وكان من المؤلفة ولم يصح له رواية أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حُنينًا والطائف، كان ممن ارتد في عهد أبي بكر ومال إلى طلحة فبايعه ثم عاد إلى الإسلام وكان فيه جفاء سكان البوادي. ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج4، ص 767.

[82] الزَّبيدي، محمّد بن محمّد. تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار الفكر، ج1، ص 5724.

وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[83]. **﴿الَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾**[84].

وقد بلغ من استعلاء الحضر على أهل البادية، أن الأعراب لما أرادوا التسمي بأسماء المهاجرين قبل أن يهاجروا، منعوا من ذلك، فأعلموا أن لهم أسماء الأعراب لا أسماء المهاجرين، وعليهم التسمي بها[85].

وهكذا أثرت العصبيات في حياة العرب السياسية، فقد كانت ما قبل الإسلام أحلافًا تتكون وأخرى قديمة تنحل، ولا سيما إذا كانت قد تكونت من قبائل لا رابطة دموية بينها ولا اشتراك في المواطن، وإنما كانت عوامل مؤقتة وأحوال طارئة اقتضت تكتلها، ثم اقتضت انحلالها لزوال تلك الأسباب[86].

ومن أشهر تلك الأحلاف حلف الفضول (ذو القعدة 20 ق. ب/ 590م)، إذ تداعت قبائل من قريش إلى حلف وتعاهدوا وتعاقدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها ومن غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عنه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. وقد شهد محمد هذا الحلف قبل البعثة، حيث تداعت من خلاله قبائل قريش وبطونها على حلف لنصرة المظلوم[87]. وقد أثنى محمد على هذا الحلف خيرًا في قوله: "ما أحب أن لي بحلف حضرته بدار عبد الله بن جدعان حُمر النعم،

---

[83] التوبة: 97-99.

[84] الحجرات: 14.

[85] الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م، ج22، ص315.

[86] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج2، ص 122.

[87] ابن سعد، محمد. الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، ج1، ص61.

وأنّى أغدر به؟! حاتم وزهرة وتميم تحالفوا أن يكونوا مع المظلوم ما بلّ بحرٌ صوفه، ولو دُعيت لمثله لأجبت وهو حلف الفضول"[88].

ومن أخطر الأحلاف التي شكلتها قريش بعد البعثة حلف المقاطعة (6 ق.هـ/617م)، حيث تحالفت قبائل قريش ضد بني هاشم وبني عبد المطلب مسلمهم وكافرهم على أن لا يبايعوهم ولا يناكحوهم حتى يُسلموا إليهم محمدًا، وتمت محاصرتهم في شِعب أبي طالب فترة من الزمن، وانتهى التحالف بسعي بعض العقلاء والمقربين من بني هاشم وعبد المطلب وانتهت المقاطعة[89].

لذا فقد سعى محمد جادًّا لإقامة تحالفات سياسية قبل الهجرة مع كثير من القبائل العربية، تمثّل ذلك بمقابلة الوفود القادمة إلى مكة في المواسم[90]، حيث كان يقول: "هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل"[91]، وكان يعرض نفسه على قبائل العرب في أيام المواسم، ويكلم كل شريف قوم لا يسلْهم مع ذلك إلا أن يروه ويمنعوه ويقول: "لا أكره أحدًا منكم على شيء، من رضي منكم بالذي أدعوه إليه فذلك، ومن

---

[88] ابن هشام. السيرة النبوية. ج6، ص135. الحلبي، علي بن برهان الدين. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. بيروت: دار المعرفة. 1400هـ، ج1، ص 213. الفاكهي. أخبار مكة. ج5، ص191.

[89] ابن هشام. السيرة النبوية. ج1، ص333. ابن كثير. البداية والنهاية. ج3، ص84.

[90] وقد استقصى الإمام محمد بن عمر الواقدي فقص خبر القبائل واحدةً واحدةً فذكر عرضه عليه السلام نفسه على بني عامر وغسان وبني فزارة وبني مرة وبني حنيفة وبني سليم وبني عبس وبني نضر بن هوازن وبني ثعلبة بن عكابة وكندة وكلب وبني الحارث بن كعب وبني عذرة وقيس بن الحطيم وغيرهم. انظر: ابن كثير. السيرة النبوية. ج2، ص 170.

[91] الدارمي، عبدالله. سنن الدارمي. تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ، كتاب فضائل القرآن، باب القرآن كلام الله، حديث رقم: 3354، ج2، ص 532، قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح.

كره لم أُكرهه، إنما أريد أن تحرزوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي، وحتى يقضي الله عز وجل لي ولمن صحبني بما شاء الله"[92].

ومن القبائل بنو شيبان حيث دارت بينهم وبين النبي وأبي بكر مباحثات سياسية طويلة أوردتها كتب السير، وكان مطلب الرسول مطلبًا واضحًا "تؤوني وتنصرونني حتى أؤدي عن ربي الذي أمرني به فإن قريش قد تظاهرت أمر الله"[93]. وكان ردّهم أنهم يرتبطون بعهود وأحلاف مع مملكة فارس، وأنهم يرون أمر محمد مما تكرهه الملوك فإن أحبّ أن ينصروه ويؤوه مما يلي مياه العرب فعلوا ذلك. حيث إن بني شيبان أرادوا أن يكون هذا الحلف موجهًا ضد القبائل العربية، فلا طاقة لهم بمملكة فارس، وهم يرتبطون معها بعهود تمنعهم من التحالف ضدهم. فلم يبرم النبي هذا التحالف ونهض من عندهم بعد أن ردّ عليهم ردًا حسناً بقوله: "ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه"[94].

ومن تلك القبائل ثقيف التي تمثل العمق الإستراتيجي لملأ قريش، وتعد مَصْيفًا لكثير من أغنياء مكة، وكانت قبيلة بني هاشم وعبد شمس على اتصال مستمر مع الطائف، كما كانت تربط مخزوم مصالح مالية مشتركة بثقيف، فقد وفد محمد إلى أبرز زعماء ثقيف وهم بنو عمرو بن عمير، وقد كانت بينهم وبين قريش أحلافًا، ولم يذهب إلى بني مالك الذين يتحالفون مع هوازن[95]. فلم يستجيبوا لدعوته، واغروا به سفهاءهم وعبيدهم، وقد يئِس من

---

[92] البيهقي، أحمد ابن الحسين. دلائل النبوة. وثق أصوله: عبد المعطي قلعجي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م ج2، ص414.

[93] هارون. تهذيب ابن هشام. ص114. ابن كثير. البداية والنهاية. ج3، ص 171. الحلبي. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. ج2، ص 156.

[94] ابن كثير. البداية والنهاية. ج2، ص 168.

[95] التجاني، عبد القادر حامد. أصول الفكر السياسي في القرآن المكي. ط1، عمان: دار البشير، 1995م، ص175.

خير ثقيف وقال لهم: "إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني". وكرِه أن يبلغ قومه عنه فيؤزرهم ذلك عليه[96].

وحاول الرسول أن يجري مفاوضات مع بني عامر بناءً على دراسة وتخطيط، فالرسول وصاحبه أبو بكر كانا يعلمان أن بني عامر قبيلة مقاتلة كبيرة العدد وعزيزة الجناب، بل هي من القبائل الخمس التي لم يمسها سباء ولم تتبع لملك ولم تؤدِ أتاوة[97]، مثلها مثل قريش وخزاعة كما أن الرسول كان يعلم أن هنالك تضادًا قديمًا بين بني عامر وثقيف، فإذا كانت ثقيف امتنعت عليه من الداخل فلماذا لا يحاول أيضًا تطويقها من الخارج، والاستفادة في ذلك من بني عامر بن صعصعة، فإذا استطاع الرسول أن يبرم حلفًا مع بني عامر فإن موقف ثقيف سيكون على حافة الخطر. لكن كان شرطهم للتحالف والنصرة أن يكون لهم الأمر من بعده فرفض النبي عرضهم، فقالوا له: "أفنهدف نحورنا للعرب دونك، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا! لا حاجة لنا بأمرك، وأبوا عليه"[98].

لم ينجح محمد في عقد تحالف مع أيٍ من القبائل، ولعل أهم سبب هو رفض قومه له بالدرجة الأولى، فكيف يقبل شخص أن يحالف رجلاً وقومه عليه ساخطون، فقد مكث محمد بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعُكاظ ومِجنّة وفي المواسم بمِنى يقول: "من يؤويني؟ من ينصرني حتى أبلّغ رسالة ربي وله الجنة"؟ حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو مُضر،

---

[96] ابن هشام. السيرة النبوية. ج2، ص 267.

[97] التجاني. أصول الفكر السياسي في القرآن المكي. ص128.

[98] هارون. تهذيب ابن هشام. ص 113. ابن كثير. البداية والنهاية. ج3، ص 171.

فيأتيه قومه فيقولون: "احذر غلام قريش لا يفتنك، ويمشي بين رجالهم وهم يشيرون إليه بالأصابع"[99].

ومن أسباب عدم النجاح أن التحالف مع محمدٍ يناقض التزامات تحالفية مع قبائل وممالك أخرى؛ ولأنه ربما التحالف معه لا يُجدي نفعًا، لكنه مع ذلك نجح نجاحًا بسيطًا في إقناع وكسب بعض الشخصيات من قبائل متعددة إلى الدين الجديد. كأبي ذر من قبيلة غفار، وعمرو بن عبسة[100] من بني سلمة، والطفيل بن عمرو[101] من دوْس.

علاقة الرسول مع الأحناف

بقيت الديانة الحنيفية لها أتباعها حتى فترة مجيء الإسلام، فقد علمنا أن محمدًا قبل الإسلام قد التقى ببعض أتباع الحنيفية، ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤرخين قد سجلوا التقاء الرسول بعضهم بعد الرسالة.

ومن هؤلاء الأحناف **أبو ذر**[102](32هـ/652م) من قبيلة غفار فقد كان منكرًا لحال الجاهلية، ويأبى عبادة الأصنام وينكر على من يشرك بالله، وكان يصلي لله قبل إسلامه، بثلاث سنوات، دون أن يخص قِبلة بعينها في التوجه، ويظهر أنه كان على نهج الأحناف[103].

---

[99] ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. القاهرة: مؤسسة قرطبة، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه، حديث رقم: 14496، ج3، ص 322. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[100] عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر بن غاضرة بن خفاف بن امرئ القيس، أسلم قديمًا بمكة ثم رجع إلى بلاده فأقام بها إلى أن هاجر بعد خيبر وقبل الفتح فشهدها. ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج4، ص 659.

[101] الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة الدوسي، وقيل هو ابن عبد عمرو بن عبد الله بن مالك بن عمرو بن فهم، لقبه ذو النور. المرجع السابق. ج3، ص 522.

[102] هو جندب بن جنادة. انظر: ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج7، ص125.

[103] الصلابي، علي. السيرة النبوية.. عرض وقائع وتحليل أحداث.. دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة. القاهرة: دار الفجر للتراث، 2003م، ج4، ص42.

ومنهم كذلك عمرو بن عبسة السلمي[104](35ه/656م) يقول عن نفسه: "كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله مستخفيًا، جُرآء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ما أنت؟ قال: "أنا نبي". فقلت: وما نبي؟ قال: "أرسلني الله". فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: "أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء" قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: "حُرّ وعبد" قال: ومعه يومئذٍ أبو بكر وبلال ممن آمن به فقلت: إني متبعك. قال: "إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني"[105].

ومن الأحناف ممَن أدرك نبوة محمد أمية بن أبي الصَّلْتِ الثقفي[106] (5هـ/626م)، حيث كان شاعرًا عاقلاً، وكان يتَّجِر إلى الشام، فتلقاه أهل الكنائس من اليهود والنصارى، وقرأ الكتب، وكان قد علم أن نبيّاً يبعث من العرب، وكان يقول أشعارًا على آراء أهل الديانة وصف فيها السماوات والأرض والشمس والقمر والملائكة، وذكر الأنبياء البعث والنشور والجنة والنار[107]. ولما بلغه ظهور النبوة في شخص محمد اغتاظ لذلك وتأسف؛ لأنه كان يأمل أن تكون النبوة فيه، وأن ينزل الوحي عليه، فيكون نبي العرب والعالم أجمعين، فلما رأى

---

[104] عمرو بن عبسة بن خالد بن عامر بن غاضرة بن خفاف بن امرئ القيس. وفي ترجمته خلاف. انظر: ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج4، ص 658.

[105] مسلم، الحجاج. صحيح مسلم. كتاب صلاة المسافرين، باب إسلام عمرو بن عبسة، حديث رقم: 1967، ج2، ص 208.

[106] ابن أبي الصلت(ت: 5هـ): هو أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي: شاعر جاهلي حكيم، من أهل الطائف. قدم دمشق قبل الإسلام. وكان مطلعًا على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبّدا. وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم. الزركلي. الأعلام. ج2، ص 23.

[107] المسعودي. مروج الذهب. ج1، ص 24. معظم أشعار أمية بن أبي الصلت منحولة.

النبوة في الرسول، حسده، وأثار المشركين عليه[108]، ورثى قتلاهم في معركة بدر[109]، وحرض قريشًا عليه، حتى مات على حسده وعناده سنة تسع للهجرة بالطائف قبل أن يسلم قومه الثقفيون. ولم يُمت مسلمًا، ولم يمت على دين الوثنيين من قومه، بل مات كافرًا بالديانتين. وقيل أنه مات على الحنيفية لما مرض مرضه الذي مات فيه جعل يقول: "قد دنا أجلي وهذه المرضة منيتي، وأنا أعلم أن الحنيفية حق، ولكن الشك يداخلني في محمد". قال: ولما دنت وفاته أغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول:

"**لَبَّيْكُما لبيكما ... هأنذا لديكما**"[110]

وقد كان النبي يحب سماع شعره، فعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: رَدِفْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا. فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم. قال: "هِيهْ". فأنشدته بيتًا. فقال: "هِيهْ". ثم أنشدته بيتًا. فقال: "هِيهْ. حتى أنشدته مائة بيت"[111].

وقد قدمت الفارعة أخت أمية بن أبي الصلت على رسول الله بعد فتح مكة (8هـ/630م)، وكانت ذات لُبّ وعقل وجمال، وكان رسول الله بها معجبًا. فقال لها ذات يوم: "يا فارعة، هل تحفظين من شعر أخيك شيئًا"؟ فقالت: نعم، وأعجب من ذلك ما قد رأيت[112]. وقال عنه النبي: "كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم"[113]. وقال عنه: "آمَنَ شِعْرُهُ وَكَفَرَ قَلْبُهُ"[114]. وقد مدح الإسلام الحنيفية ووصفها بأنها أحب الدين إلى الله[115].

---

[108] الأصفهاني، أبي الفرج. الأغاني. تحقيق: سمير جابر، ط2، بيروت: دار الفكر، ج4، ص 129.

[109] ابن كثير. البداية والنهاية. ج3، ص 413.

[110] الأصفهاني. الأغاني. ج4، ص 138.

[111] مسلم، ابن الحجاج. صحيح مسلم. كتاب الشعر، حديث رقم: 4185، ج11، ص 335.

[112] ابن كثير. السيرة النبوية. ج1، ص 131.

[113] البخاري. صحيح البخاري. كتاب المناقب، باب أيام الجاهلية، حديث رقم: 3553، ج12، ص 212.

[114] الفاكهي. أخبار مكة. ج5، ص 186.

[115] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج1، ص 68.

علاقة الرسول مع اليهود

مما يؤسف له علميًا أنه لم يرد عن يهود جزيرة العرب شيء في أخبار المؤلفين العبرانيين[116]. وقد ذهب "ولفنسون" المؤرخ الإسرائيلي إلى أن السبب في قلة ما وصل إلينا من تراث اليهود في الجاهلية، إنما يرجع إلى ضعف إقبال اليهود على اعتناق الإسلام. والذي حافظ على القليل الذي وصل إلينا هم اليهود الذين اعتنقوا الإسلام[117]. فمصادر علاقة المسلمين مع اليهود في الفترة المكية تنحصر في القرآن وكتابات الإخباريين المسلمين.

يسجل المؤرخون احتكاكًا غير مباشر بين الدعوة المحمدية واليهود من خلال كفار قريش، وذلك بأن بعثوا سفيرين لهم إلى أحبار المدينة، ليسألوهم عن محمد وصفته، فقالوا لهما: "سلوهم عن محمد، وصفوا لهم صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله، ووصفوا لهم أمره، وأخبروهم ببعض قوله، وقالوا لهم: إنكم أهل التوراة فقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث يأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروْا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم، فإنه كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان بناؤه، وسلوه عن الروح ما هو، فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فهو رجل متقوّل فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فأقبل النضر وعقبة حتى قدما مكة على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور، فأخبروهم بها، فجاءوا رسول

---

[116] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج12، ص 91.

[117] ولفنسون. تأريخ اليهود في بلاد العرب. ص24.

الله فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به فقال لهم رسول الله: أخبركم عما سألتم عنه غدًا، ولم يستثنِ فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله خمس عشرة ليلة لا يحدث الله تعالى إليه في ذلك وحيًا، ولا يأتيه جبريل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدًا واليوم خمس عشرة وقد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، حتى حزن رسول الله مُكث الوحي عنه، وشق عليه ما تكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية، والرجل الطواف"[118].

بدأ القرآن المكي بترتيب العلاقة بين النبي وأهل الكتاب، فذكر قصة موسى وأخيه هارون مع فرعون وما جرى لبني إسرائيل بسبب عدم تقيدهم بما أوصاهم به موسى، إذ جنحوا إلى عبادة عجل من ذهب، لكن الله غفر لهم ورحمهم حسب النص القرآني، ﴿**قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾[119]. هذا بالنسبة لليهود زمن موسى، أما من أتى بعدهم من اليهود فرحمة الله لهم مشروطة بيّنها النص القرآني: ﴿**فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[120]. لذا فالقرآن يقرر انحراف معظم اليهود بعد النبي موسى، وعليهم الآن أن يتبعوا دين النبي المنعوت عندهم، والذي كُلّف به محمد بن عبد الله، وبيان انحراف معظم اليهود ورد في قوله: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ**

---

[118] ابن إسحاق. السيرة النبوية. ج1، ص70.

[119] الأعراف: 156.

[120] الأعراف: 156-157.

يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى"[121]. وقوله: **"خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾**[122]. لكن هنالك جماعة من اليهود لم ينحرفوا بل بقوا متمسكين بما في التوراة، وهم اليهود الذين نصروا المسيح ورفضوا التثليث، وقد بقي من هذا التيار الذي قاده آريوس أتباعٌ ودعاةٌ إلى زمن الدعوة المحمدية فكانوا من المبشِّرين بها، بيان ذلك في قوله: **﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾**[123].

علاقة الرسول مع النصارى

كان بين سكان مكة عند ظهور الإسلام جماعة من النصارى هم من الغرباء النازحين إليها، لأسباب منها: الرق، والاتجار، والتبشير، والحِرفة.

لم تتمكن النصرانية من تثبيت قدمها في مكة، ويبدو أنه لم يحدث على الإطلاق عمل تنصيري منظم، وإن وجد هناك نصارى فإما أن يكونوا رهبانًا وإما زهادًا هجروا الناس إلى الصحراء[124].

ومما يؤكد الوجود النصراني في مكة ادعاء أهل مكة أن رجلاً نصرانيًا كان هو الذي يُلقن محمدًا القرآن قيل أن اسمه: سلمان الفارسي، أو يسار، أو جبر، أو يعيش، أو بلعام[125]. وقد أشير إلى قول قريش هذا في الآية: **﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾**[126]. ومَن روى من المفسرين أن اسمه جبر، قال:

---

[121] الأعراف: 169.

[122] مريم: 59.

[123] الأعراف: 159.

[124] بوسه، هيربرت. أسس الحوار في القرآن الكريم.. دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية. ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م، ص25.

[125] ابن الجوزي. زاد المسير في علم التفسير. ج4، ص127.

[126] النحل: 103.

إنه كان غلامًا لعامر بن الحضرمي، وأنه كان قد قرأ التوراة والإنجيل، وكان الرسول يجلس إليه عند المروة فكانوا يقولون والله ما يَعلم محمد كثيرًا مما يأتي به إلا جبر النصراني، غلام الحضرمي[127].

وعُدّ ورقة بن نوفل[128] (12 ق.هـ/611م) في جملة المتنصرين في بعض الروايات، فقد ذكر إنه "تنصر واستحكم في النصرانية، وقرأ الكتب، ومات عليها"[129].

فكان ورقة بن نوفل قد قرأ الكتب وطلب العلم، ورغب عنِ عبادة الأصنام، وبشر خديجة بالنبي، وأنه نبي هذه الأمة، وأنه سيؤذى ويكذبُ، ولقي النبي، وقد اختلف فيه: فمنهم من زعم أنه مات نصرانيًا، ولم يدرك ظهورَ النبي، ولم يتيسر له أمره، ومنهم من رأى أنه مات مسلمًا[130].

"وكان امرَأً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمِي. فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله: أوَ مخرجي هم؟! قال: نعم. لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ، وإن يدركني يومُك أنصرك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن تُوفي وفتَر الوحي"[131].

---

[127] ابن هشام. السيرة النبوية. ج2، ص238. الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن. ج17، ص299.

[128] ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي بن عم خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج6، ص 607.

[129] اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي. ج1، ص101.

[130] المسعودي. مروج الذهب. ج1، ص 25.

[131] البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الوحي، حديث رقم: 3، ج1، ص5.

ومما ورد من أقوال النبي محمد في حقّه: "لا تسبوا ورقة، فإني رأيت له الجنة أو جنتين"[132].

وممن ذُكر أنه على دين النصارى عبيد الله بن جحش الأسدي[133] حينما خرج مع ورقة بن نوفل إلى الشام في صحبة زيد بن عمرو في رحلة البحث عن دين صواب. فالواضح أن عبيد الله بن جحش كان دين النصرانية أقرب إليه، ويبدو أن إسلامه واتباعه لدين محمد كان وسيلة للوصول إلى أرض الحبشة، فبمجرد وصوله إليها تنصّر وفارق الإسلام، فكان بها حتى هلك هنالك نصرانيًا[134].

وممن التقى بهم النبي من النصارى عدّاس يوم رجوعه من الطائف[135]، وكان من حوارهما سؤال محمد: "من أي أرض أنت يا عدّاس؟ قال: من أهل نينوى. فقال له: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى؟. فقال: وما يدريك من يونس بن متى؟ قال: أنا رسول الله، والله أخبرني خبر يونس. فلما أخبره خرّ عدّاس ساجدًا لرسول الله، وجعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء. فلما أبصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا: ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه؟ قال: هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه

---

[132] الحاكم. المستدرك على الصحيحين. كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما، حديث رقم: 4211، ج2، ص 666. قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم. الألباني، محمد ناصر الدين. السلسلة الصحيحة. الرياض: مكتبة المعارف، حديث رقم: 405، ج1، ص761.

[133] عبيد الله بن جحش كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر في الثانية إلى الحبشة ومعه امرأته بركة بنت يسار، وتنصر ومات بأرض الحبشة. ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج5، ص 488.

[134] ابن هشام. السيرة النبوية. ج1، ص222. ابن كثير. البداية والنهاية. ج2، ص 416.

[135] الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ج1، ص283.

الله إلينا يدعى يونس بن متّى فضحكا به. وقالا: لا يفتنَّك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع، فرجع رسول الله إلى مكة"[136].

كان خصوم الدعوة المحمدية في المرحلة المكية مشركي مكة، أما النصارى فلم تكن لهم حينذاك علاقة مباشرة بالدعوة، ولم يكونوا من سكان مكة، إلا ما كان من أفراد معدودين في جنس العبيد والموالي، وقد رأينا كيف أن قريشًا اتهمت بعضهم[137] بأنهم كانوا يعينون الرسول، وينقلون إليه من التوراة يملون عليه ما ينقلون، وقد رد القرآن هذا الافتراء: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾[138].

وتذكر المصادر روايات تفيد أن النجاشي كان قد أقام مدة من الزمن، ما بين مكة والمدينة، عبدًا عند قبيلة بني ضمرة، وذلك بعد أن باعه قومه لتاجر عربي، وهو طفل صغير، للتخلص منه كوريث للعرش، ولما حصلت بعد عدة سنين خلافات حول وراثة الملك في الحبشة، استعاده قومه وملّكوه عليهم[139].

لذا فقد كانت أرض الحبشة الملاذ الآمن لأتباع محمد الأوائل المستضعفين، حيث قال محمد: "إن بأرض الحبشة ملكًا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا مما أنتم فيه"[140]. ولما جاء نعي النجاشي قال الرسول: "صلوا عليه قالوا: يا رسول

---

[136] الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. ج1، ص283.

[137] أشاروا إلى عدّاس مولى حويطب، ويسار غلام عامر بن الحضرمي، وجبر مولى لعامر أيضًا، وكان الثلاثة من أهل الكتاب. انظر: ابن الجوزي. زاد المسير. ج4، ص464.

[138] الفرقان: 4-5.

[139] ابن هشام. السيرة النبوية. ج2، ص184.

[140] البيهقي، أحمد بن الحسين. السنن الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1994م، حديث رقم: 18190، 1344هـ، ج9، ص9. ابن كثير. البداية والنهاية. ج3، ص92. الألباني. السلسلة الصحيحة. حديث رقم: 3190 ج8 ص197.

الله نصلي على عبد حبشي؟[141] فأنزل الله عز وجل: ﴿**وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين**﴾[142].

وتذكر المصادر أن جماعة من النصارى قدموا من الحبشة إلى مكة فاستمعوا إلى القرآن فآمنوا وصدقوا[143]، ربما تأثروا بالمهاجرين المسلمين، وفيهم يقال نزل قوله: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾[144]. أما عدد من اتبع دين محمد من النصارى فقد ذكرت بعض المصادر أنهم كانوا عشرة، "فلما جاؤوا جعل الناس يستهزئون بهم، ويضحكون منهم"[145].

---

[141] النسائي. سنن النسائي الكبرى. حديث رقم: 11088، ج6، ص 319. الألباني. السلسلة الصحيحة. حديث رقم: 3044، ج8، ص 51.

[142] آل عمران: 199.

[143] ابن هشام. السيرة النبوية. ج2، ص237. ابن كثير. السيرة النبوية. ج2، ص40. ابن كثير .البداية والنهاية. ج3، ص103.

[144] القصص: 52-54.

[145] ابن الاثير، علي بن محمد. أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق: عادل الرفاعي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996م. ج2، ص 288. السيوطي، جلال الدين. الدر المنثور في التأويل بالمأثور. بيروت: دار الفكر، 1993م. ج7، ص 500. البخاري. التاريخ الكبير. حيدر أباد، 1963م. ج6، ص375.

خاتمة

برزت الدعوة المحمدية في جو من تعدد الديانات، وقد شكلت الوثنية أبرز تلك الديانات، ونتجت ضمن ظروف التنافس الاقتصادي تجاوزات أدت إلى حصول الظلم والاستبداد، في ظل تلك الظروف بدأت الدعوة المحمدية إلى عبادة الإله الواحد، في جو من الهدوء، ثم ما لبث الرسول محمد بالإعلان عن دعوته، ثم بعد بدأ بهجاء وشتم الأوثان، فما كان من سادة قريش الوثنيين إلا أن حاولوا احتواءه بالإغراءات، فلم ينجحوا فقرروا الضغط على عمه أبي طالب ليتخلصوا منه، فلجأوا إلى مقاطعته، وحصاره في الشِعب، ولما مات أبو طالب قرروا طرده أو قتله. فخرج محمد من مكة إلى يثرب مهاجرًا.

أما عن طبيعة علاقات محمد مع اليهود بعد البعثة فلا توجد إشارات حول ذلك. وأما النصرانية فقد استطاعت أن تتغلغل في صفوف القبائل العربية المجاورة لمكة والمدينة، حيث امتازت النصرانية بالزهد وأعمال التبشير، وقد التقى محمد بعضهم وأشهرهم ورقة بن نوفل الذي رأى في محمد أنه نبي آخر الزمان. وقد أُشيع أنّ محمدًا جاء بدعوته متأثرًا بالنصرانية، وقد فنّد القرآن هذه المزاعم.

أما عن موقف النصارى من الدعوة المحمدية خلال المرحلة المكية فقد كان موقفًا مسالمًا إن لم نقلْ متعاطفًا كما هو موقف النجاشي، والوفد النصراني الذي أسلم.

الفصل الثالث

علاقة الرسول مع أتباع الديانات الأخرى في الفترة المدنية

- **علاقة الرسول مع الوثنيين**

- **علاقة الرسول مع اليهود**

1. الجدال مع اليهود

محاولات الرسول كسب اليهود

تساؤلاتهم وتعنتهم

زواج الرسول من اليهوديات

2. الصراع العسكري

محاولات اليهود اغتيال الرسول

سحر اليهود للرسول

سياسة اغتيال الرسول لليهود

3. أحاديث منسوبة للرسول في ترتيب العلاقة مع اليهود

- **علاقة الرسول مع النصارى**

علاقة الرسول مع الوثنيين

بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بدأت فصول مرحلة جديدة في المواجهة مع الوثنيين، فيرصد المؤرخون حدوث أول شرارة للصراع بين مكة والمدينة، وهو "أن سعد بن معاذ كان صديقًا لأمية بن خلف، وكان أُمية إذا مرَّ بالمدينة نزل على سعد، وكان سعد إذا مرّ بمكة نزل على أمية، فلما قدم الرسول المدينة انطلق سعد معتمرًا فنزل على أُمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة لعلي أطوف بالبيت فخرج به قريبًا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك؟ فقال: هذا سعد فقال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنًا، وقد آويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم، وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعتَ إلى أهلك سالمًا، فقال له سعد: ورفع صوته عليه، أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنَّك ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة"[146]. إن هذه الحادثة تدل على أن حالة الصراع استفحلت، حتى أن أهل المدينة أصبحوا بحاجة إلى أمان حتى يتسنّى لهم دخول مكة، وهذا يُعد إعلان حرب على أهل المدينة، الذين ناصروا محمدًا.

لم تتوفر للرسول محمد في مكة القوة المناسبة للقضاء على الخصوم، وإن اتبعه بعض أصحاب النفوذ كحمزة وعمر بن الخطاب، لكن هذه القوة غير كافية، وإن خاض الرسول حربًا إبان وجوده في مكة فسيكون مصيره الفشل، وستُقطع الأرحام، وتسيل الدماء بلا انتهاء، وستكون حربًا أهلية وتصير يومًا من أيام العرب. لذا جنّب محمد قريشًا الحرب الأهلية، ولجأ إلى الخروج من مكة إلى المدينة.

في المدينة حيث الأنصار توفرت تلك القوة، وقام محمد بتعداد المحاربين والقادرين على حمل السلاح من المسلمين في السنة الأولى من الهجرة وبعد المؤاخاة مباشرة، وكان

---

[146] البيهقي. دلائل النبوة. ج2، ص414. ابن كثير. البداية والنهاية. ج2، ص 80.

الإحصاء للمسلمين حيث قال: "اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس"[147] فبلغ تعداد المحاربين منهم فقط ألف وخمسمائة رجل، ثم بدأ الصراع العسكري الاقتصادي وذلك بإعداد السرايا لقطع طرق التجارة على قريش، ومن أشهر السرايا سرية حمزة بن عبد المطلب (رمضان 1 هـ/623م) حيث التقت مع قافلة قريش بقيادة أبو سفيان، إلا أن تدخل مجدي الجهني حليف الطرفين أوقف القتال. ونجحت سرية عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة (2 هـ/624م) إذ ظفرت بقافلة قريش وقتلت قائدها، وتتابعت السرايا مثل سريّة بُواط[148] والعشيرة[149](جمادى أولى 2هـ/624م)، وسرية سعد بن أبي وقاص (رجب/ 2هـ/624م)، وكل هذه السرايا رجعت ولم تلقَ كيدًا، إذ استطاعت قوافل قريش النجاة في كل مرّة. واستمرت السرايا بهدف إضعاف القوة الاقتصادية لقريش وأصبحت خطرًا حقيقيًا، حتى قال أبو جهل حين قدم مكة: "يا معشر قريش إن محمدًا قد نزل يثرب وأرسل طلائعه، وإنما يريد أن يصيب منكم شيئًا، فاحذورا أن تمروا طريقه، وأن تقاربوه فإنه كالأسد الضاري، إنه حنق عليكم نفيتموه نفي القردان[150] على المناسم[151]، والله إن له لسحرة، ما رأيته قط ولا أحد من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين وإنكم عرفتم عداوة ابني قيلة[152]، فهو عدو استعان بعدو"[153]. وقد شكّلت سيطرة محمد على يثرب وطرقها نكبة اقتصادية للقرشيين حتى قالوا: "قد عوّر علينا محمد

---

[147] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس، حديث رقم: 2832، ج10، ص 280.

[148] جبل من جبال جهينة، بناحية رضوى بقرب ينبع. الحموي، ياقوت. معجم البلدان. بيروت: دار الفكر، ج1، ص 503.

[149] موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع على ساحل البحر الأحمر. المرجع السابق. ج4، ص 127.

[150] جمع قُراد؛ وهي دُويبة تعض الأبل. ابن منظور. لسان العرب. ج3، ص 348.

[151] طرف خُفّ البعير. المرجع السابق. ج4، ص 517.

[152] كناية عن الأوس والخزرج، فقيلة أُمّهم وكانوا ينسبون إليها.

[153] العمري، بريك بن محمد. السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة. تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط1، دار ابن الجوزي، 1996م، ص87.

متجرنا"[154]. وما زالت المناوشات قائمة عبر السرايا حتى حدث الصدام الفعلي في غزوة بدر (رمضان 2هـ/624م) وما بعدها من أُحد (3هـ/625م) والخندق (5هـ/627م)، وفي كل مرّة يرجع الوثنيون من أهل مكة وحلفاؤها خاسرين، وتتوقف الحروب بين محمد والوثنيين بصُلح الحُديبية (6هـ/628م)، لكن الوثنيين نقضوا الصلح، فسار إليهم محمد مع عشرة آلاف مقاتل ففتح معقل الوثنية مكّة (8هـ/630م)، وأعلن العفو العام على أهل مكة، وعظّم الكعبة وهدم كل الأوثان، ولما فُتحت مكة وأسلمت قريش تبعتهم العرب ودخلوا في دين الله أفواجًا[155]، أبقى محمد لمكّة سيادتها فقال: "الناس تبع لقريش"[156].

إن السرايا الاعتراضية التي قام بها الرسول وإن كانت لقصد سلب ونهب القوافل التجارية: ﴿**وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ**[157] **تَكُونُ لَكُمْ**﴾[158]، وتحطيم قوة العدو الاقتصادية، فإن ذلك كان بمثابة المعاملة بالمثل، فكما أن قريشًا سلبت المسلمين أموالهم ودورهم في مكة، فقد مارس المسلمون سياسة "سلب القوافل"؛ لأن الحالة بينهم كانت حربًا دائمةً. وليس أدلّ على ذلك من أن محمدًا قد شنّ أربعة عشر عملاً عسكريًا، ما بين غزوة وسريّة[159] من أصل سبعة وستين قام بها خلال الفترة المدنية.

---

[154] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج7، ص255.

[155] ابن حجر. فتح الباري. ج6، ص 530.

[156] البخاري. صحيح البخاري. كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، حديث رقم: 3305، ج3، ص 1288.

[157] غير ذات الشوكة: أي غنيمة بدون حرب. ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد. التحرير والتنوير من التفسير. تونس: دار سحنون، 1997م، ج6، ص 160.

[158] الأنفال: 7.

[159] الأبواء (ودان) (صفر 2هـ/624هـ)، بُواط (ربيع الأول 2هـ/ 624هـ)، العشيرة (جمادى أولى 2هـ/624م)، بدر الأولى (سفوان) (جمادى أولى 2هـ/624م)، بدر الكبرى (رمضان 2هـ/624م)، السويق (ذو الحجة 2هـ/624م)، بحران (ربيع الثاني 3هـ/625م)، أُحد (شوال 3هـ/625م)، حمراء الأسد (شوال 3هـ/625م). بدر الآخرة (شعبان 4هـ /626م)، الخندق (الأحزاب شوال 5هـ/627م)، الحديبية (شوال 6هـ/628م)، عمرة القضاء (7هـ /629م)، فتح مكة (رمضان 8هـ/630م).

يتبيّن لنا أن الرسول لما كان ضعيفًا في مكة لم يقاوم الاعتداء بالقوة؛ لأنه لا يملك القوة المناسبة، وليُجنّب قومه الحرب الأهلية، فالعلاقات بينهم كانت قائمة على أساس العصبية القبلية، لكنه حينما هاجر إلى المدينة وتوفرت لديه القوة الكافية، وبنى العلاقات بين أتباعه على أساس الرابطة الإيمانية، كان مستعدًا لرد الاعتداءات والوقوف في وجه القرشيين. لكن بالرغم من امتلاكه القوة العسكرية إلا أنه لم يوظفها في سفك الدماء، بل لرد الاعتداء، وأكبر برهان على ذلك العفو عن أهل مكة حينما فتحها.

يقول المستشرق الأمريكي واشنطن إيرفنج في كتابه حول عفو الرسول عن قريش عند فتح مكة: "لقد كان هدف الرسول من فتح مكة إذًا هدفًا دينيًا لا حزبيًا، فكانت الرأفة بسكان مدينته التي خضعت لمطلق قوته دليلاً من أدلة الرحمة في الإسلام"[160].

واجه الرسول وثنيين في المدينة ممن ادّعوا الإسلام ظاهرًا، والذين عُرفوا باسم المنافقين، ومن أبرزهم عبد الله بن أُبي بن سلول[161]. فقد كان يؤذي الرسول مرارًا، وسبب ذلك أن أهل المدينة قد اصطلحوا على أن يتوجوه فيعصبوه بالعصابة، فلما أتى الرسول انصرفوا عنه، وأقبلوا على محمد[162]. وقد كان له دور كبير في الإرجاف يوم بدر (2هـ/624م) فقد قال له ابنه –وقد حسن إسلامه–: "أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين، لنقدمنّك إلى الرسول إذا قدم فليضربنّ عنقك، فقال: إنما هو شيء سمعته من الناس

---

[160] إيرفرينج، واشنطن. محمد وخلفاؤه. ترجمة ومقارنة: هاني يحيى نصري، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1999م، ص346.

[161] الرزركلي، خير الدين. الأعلام. ج4، ص 65.

[162] البخاري. صحيح البخاري. كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿**وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا**﴾، حديث رقم: 4566، ج15، ص 91.

يقولونه"[163]. وكان له دور في تخفيف عقوبة حلفائه بني قينقاع، وكذلك انسحابه بثلث الناس يوم أُحد[164](3هـ/625م)، وتحريضه بني النضير، والعديد من المواقف المعيقة للإسلام. لكن الرسول قد عالجه بالإهمال ولم يُرِدْ قتله: "حتى لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتُل أصحابه"[165]. ولما مات صلى عليه. فنزل القرآن يمنعه من الصلاة على أحد من المنافقين بعده: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا**﴾[166]. وبيّن القرآن أن عقوبة المنافق من أشد العقوبات في الآخرة: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾[167].

كان من أولويات سياسة الرسول حينما هاجر إلى المدينة عدم استثارة القبائل الوثنية المجاورة للمدينة، وكان تركيزه مُنصبًّا على قطع قوافل قريش عبر طريق الساحل، ونجح في توثيق الصّلات مع قبائل الساحل، وذلك عن طريق المعاهدات، وانتشار الإسلام في تلك القبائل.

وجّه الرسول جهوده نحو القبائل الغربية عن طريق دعوتها للإسلام، أو عن طريق مهادنة بعضها، خاصة أن هذه القبائل لها علاقات مهمة بالمدينة، حيث الموارد الغذائية المتوفرة، والمركز الاقتصادي المهم في الحجاز الأوسط.

ومن أوائل القبائل التي دخلت في علاقة مع الإسلام قبيلة غفار من خلال أبي ذر فعندما قابل الرسول في مكة وأسلم قال له الرسول: "ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري. فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى

---

[163] البيهقي. دلائل النبوة. باب قدوم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة على أهل المدينة بشيرين بفتح بدر، حديث رقم: 992، ج3، ص 137.

[164] ابن هشام. السيرة النبوية. ج4، ص 10.

[165] البخاري. صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن، باب قوله: "يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، حديث رقم: 4586.....

[166] التوبة: 84.

[167] النساء: 145.

صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا عبده ورسوله، فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكبّ عليه، وقال: ويلكم: ألستم تعلموا أنه من غفار! وأنه من طريق تجارتكم إلى الشام؟ فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه، وثاروا إليه، فأكبّ العباس عليه"[168]. وبهذا يكون الرسول قد ضمِن قبيلة مهمة في حربه ضد قريش، والتي ستكون رهن إشارته سواء كان ذلك بإعلان الحرب، أو بنقل المعلومات المهمة عن تحرك قوافل قريش.

وكتب النبي بينه وبين قبيلة غفار كتابًا منذ وقت مبكر جاء فيه: "**أنهم من المسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وأن النبي عقد لهم ذمة الله وذمة رسوله على أموالهم وأنفسهم، ولهم النصر على من بدأهم بالظلم، وأن النبي إذا دعاهم لينصروه أجابوه، وعليهم نصره إلا من حارب في الدين، ما بلّ بحر صوفه، وأن هذا الكتاب لا يحول دون إثم**"[169].

وأما قبيلة جهينة، المسيطرة على خط القوافل التجارية، فقد دخلت في الإسلام منذ وقت مبكر. قال سعد بن أبي وقاص: "لما قدِم رسول الله المدينة جاءته جهينة فقالوا: إنك قد نزلت بين أظهرنا، فأوثق لنا حتى نأتيك وتؤمّنا، فأوثق لهم فأسلموا"[170]. واعترافًا بدورهم كان يقول الرسول: "ابْدُوا يا أسلم فتسنّموا الرياح، واسكنوا الشعاب، فقالوا يا رسول الله: وإنا نخاف أن يضرنا ذلك في هجرتنا، فقال: "أنتم مهاجرون حيث كنتم"[171].

---

[168] البخاري. صحيح البخاري. كتاب المناقب، باب: إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، حديث رقم: 3861، ج13، ص188.

[169] ابن حبيب، محمد بن حبيب. المحبر. بيروت: مكتبة البخاري، ج1، ص111. في شعبان من السنة الثانية.

[170] ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد. مصنف ابن أبي شيبة. تحقيق: محمد عوامة، ط1، الهند: الدار السلفية، 1403هـ، ج14، ص352.

[171] ابن حنبل. مسند الإمام أحمد. حديث رقم: 16601، مسند المدنيين، ج4، ص55. قال شعيب الأرناؤوط: حديث حسن وهذا إسناد ضعيف سعيد بن إياس بن سلمة لم نقع له على ترجمة.

ثم وادع بني ضمرة من كنانة. وكتب كتابًا مع سيدهم مجدي بن عمرو الضمري. وينبغي هنا أن ندرك أنّ موادعته لبني ضمرة لا تعني أن حربًا قائمة بينه وبينهم، ولكن من أجل تنظيم العلاقة، ولكي يقطع أيَّ صلة مع قريش وذلك من خلال عبارات المعاهدة التي جاءت كما يلي: "**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا في دين الله ما بلّ بحر صُوفة**[172]**، وإن النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه، عليهم بذلك ذمة الله وذمة رسوله، ولهم النصر على من بر منهم واتقى**"[173].

وفي السنة الثانية (2هـ/624م) للهجرة خرج الرسول بنفسه في غزوة نحو العشيرة في بطن ينبع، وفي هذه الغزوة مرّ على بني مدلج فضيفوه وأحسنوا ضيافته. وكتب بينه وبين بني مدلج كتابًا وادعهم فيه مع حلفائهم من بني ضمرة[174].

ويظهر أن قبائل بكر بن عبد مناة ومن فروعها؛ بني مدلج وغفار وضمرة كانت علاقتها مع قريش متوترة، بسبب ثارات ودماء فيما بينهم[175].

لقد اضطلعت القبائل الغربية بدور جهادي منذ البداية، وناصروا الرسول، وكان فخورًا بهم واستحقوا ثناء النبي لهم، فقال عن غفار وأسلم:"غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها

---

[172] من الأمثال التي تقال للتأكيد والتأبيد. انظر: الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، بيروت: دار المعرفة، ص73.

[173] السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. الروض الأنف. تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000م، ج2، ص38.

[174] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص12.

[175] ابن هشام. السيرة النبوية. ج3، ص144.

الله"[176]. كان يقول: "إن أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ومن كان من بني كعب موالي دون الناس ورسوله مولاهم"[177].

وكان يفتخر بأولئك الصادقين الذين ناصروا الإسلام وآزروا الرسول قال الأقرع بن حابس للنبي: "إنما بايعك سُرَّاق الحجيج من أسلم وغفار، ومزينة وأحسبه وجهينة فقال الرسول: أرأيت إن كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه وجهينة خيرًا من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان، خابوا وخسروا؟ قال: نعم. فقال النبي: والذي نفسي بيده إنهم لخير منهم"[178].

وأما قبيلة أشجع، فقد كانت محاربة للرسول، وتأخّر إسلام هذه القبيلة إلى السنة الخامسة من الهجرة. ومن الملاحظ أن قبيلة أشجع لا تقع على الطريق التجاري لقوافل قريش، ولكن لها صلات بقبائل أسلم وجهينة وبيهود خيبر[179].

وأما القبائل الجنوبية مثل سليم والتي تعتبر من أشهر قبائل العرب لكثرة فرسانها وشعرائها[180]، فقد ظلّت بمعزل عن الصراع الدائر بين المسلمين في المدينة وقريش في مكة، ولكن هذا الهدوء لم يصمد طويلاً على هذه الجهة، خاصة مع تنامي قوة المسلمين، وإحساس هذه القبيلة بمدى الخطورة التي تتهددها من جهة المدينة؛ إضافة لعلاقتها المميزة مع يهود المدينة، كل ذلك جعل بعض قبائل سليم تفكّر بالهجوم على المدينة مع بعض قبائل غطفان –جيرانهم من جهة الشمال– وذلك بعد إخراج يهود بني قينقاع من المدينة، فسارع الرسول

---

[176] البخاري. صحيح البخاري. حديث رقم: 951، كتاب الجمعة، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف، ج4، ص94.

[177] مسلم. صحيح مسلم. حديث رقم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء، حديث رقم: 6598، ج7، ص178.

[178] البخاري، صحيح البخاري. حديث رقم: 3254، كتاب المناقب، ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع، ج11، ص338.

[179] الشيباني، محمد بن عبد الهادي. علاقة المسلمين بالقبائل المحيطة بالمدينة في العهد النبوي. ص4.

[180] ابن حبيب، محمد بن حبيب. المنمق في أخبار قريش. تحقيق: خورشيد أحمد فارق، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1985م.، ص25.

إلى مفاجأتهم بهجوم مباغت في غزوة قُرارة الكُدْر[181](محرّم 3ه/625م)، ولم يجد الرسول سوى النَّعم، فاستاقها وأسر يسار الذي أسلم وأعتقه[182].

كان للنتائج العسكرية لمعركة أُحُد انعكاسات سلبية على المسلمين من القبائل المجاورة للمدينة، فقد تجرأت قبائل لحيان وهذيل للإيقاع بسرية عاصم بن ثابت وأصحابه في موضع يقال له الرجيع (صفر 4هـ/626م) [183].

كما غدرت بنو سليم بسبعين من خيرة صحابة الرسول في موضع يقال له بئر معونة[184] (صفر 4هـ/626م). وذلك بالتآمر مع حلفائهم بني عامر، فقتلوهم، ونظرًا لفداحة المصيبة التي لحقت بالمسلمين، قنتَ الرسول شهرًا كاملاً يدعو على رُعل وذُكوان وعُصيّة – من بني سليم– وبني لحيان[185].

كانت قبيلة غطفان تهيمن على أنحاء المدينة الشرقية والشمالية، وتضم عدة قبائل مثل قبيلة: ذبيان، وفزارة، وأنمار، وبنو محارب، وبنو ثعلبة، وعبس، وبنو مرّة بن عوف[186].

لقد أدرك الرسول أن من مصلحة الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة، عدم الدخول في حروب جانبية مع القبائل المحيطة بالمدينة، ولم يغفل النبي عن كسب هذه القبائل بالإحسان إليها تارةً، والتحالف معها تارةً أخرى، كما حدث للقبائل الساحلية من المدينة.

---

[181] ابن سعد. الطبقات الكبرى. ج2، ص31.

[182] الواقدي. المغازي. ج1، ص68.

[183] الرجيع: ماء لبن لحيان من هذيل بناحية الحجاز بين مكة وعسفان، على صدور الهَدأة. الحموي. معجم البلدان. ج3، ص29.

[184] هي ماء من مياه بني سليم، وهي بين بني عامر وبني سليم. المرجع السابق. ج1، ص302.

[185] الحاكم. المستدرك على الصحيحين. حديث رقم: 6982، كتاب معرفة الصحابة، ذكر فضيلة أسلم وغفار ومزينة وغيرهم، ج4، ص92.

[186] الشيباني. علاقة المسلمين بالقبائل المحيطة بالمدينة في العهد النبوي. ص11.

ولعل من حسن حظ المسلمين وجود تلك العلاقات المتوترة بين القبائل أو حتى بين القبيلة نفسها، فبالرغم من الأحلاف القائمة بين غطفان وأسد وطيء وبين سليم وبني عامر إلا أن هذا لم يمنع الحروب الطاحنة بينها مما جعل من الاستحالة توافق هذه القبائل على غزو المسلمين في المدينة. فقد نشبت الحروب بين عشائر غطفان وبين بطون خَصَافة –هوازن وسليم– واستمر التنافس بين عشائر غطفان وعشائر خَصَافة إلى ظهور الإسلام، وتميّز بحوادث الفتك والاغتيالات[187].

أحدث انتصار المسلمين على قريش في بدر(2هـ/624م)، وقْعًا مدويًا على قبائل غطفان وغيرها في شرق المدينة، وتنبّهوا لهذا الخطر الجديد، كما كان للعلاقات المميزة بين غطفان وسليم ويهود المدينة أثر كبير في تحريك هذه القبائل[188].

وبعد الانتصار الذي تحقق للمسلمين بإخراج يهود بني النضير(4هـ/626م)، حقد حلفاؤهم من بني غطفان، وبلغ الرسول أنّ أنمارًا وثعلبةً قد جمعوا لهم الجموع، فخرج بعد غزوة النضير بأصحابه، حتى أتى محالهم بذات الرّقاع[189] –وهو جبل فيه بقع حمر وسود وبيض قريب من النخيل بين السّعد والشّقرة– فوجدهم قد هربوا لرؤوس الجبال[190].

لم يكْتفِ الرسول بالخروج إلى المناطق الشرقية القريبة من المدينة، بل خرج بجيش المسلمين إلى دُومَة الجَنْدل[191] (ربيع أول 5هـ/626م)– بينها وبين المدينة خمسة عشرة أو ستة عشرة ليلة– حينما بلغه أنّ فيها جمعًا يظلمون الناس، ويريدون أن يدنوا من المدينة.

---

[187] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج7، ص255.

[188] ابن حبيب. المنمق. ج1، ص25.

[189] الحموي. معجم البلدان. ج3، ص56.

[190] ابن هشام. السيرة النبوية. ج4، ص157. الواقدي.المغازي. ج1، ص153.

[191] الحموي. معجم البلدان. ج2، ص487.

والمهم في هذه الغزوة –دومة الجندل– التأكيد على قوة المسلمين، باختراقها لأراضي غطفان، وأسد وطيء وكلهم حلفاء، دون أن يتجاسر أحد على مهاجمة جيش المسلمين.

وقد قام الرسول باستقطاب زعيم غطفان عُيَينة بن حصن، فوادعه وسمح له بالرعي في تَغلَمَين[192] وما والاه إلى المَرَاض، وكان ما هناك قد أخصب وبلاد عُيينة قد أجدبت[193].

اشتركت غطفان في حملة الأحزاب (5هـ/626م) بعد إغرائهم من قِبل اليهود مقابل إعطائهم نتاج خيبر من الثمار. وقد اشتركت ثلاث قبائل من غطفان: بنو فُزارة في ألف مقاتل يقودهم عُيَيْنَة بن حِصْن[194]، وخرجت أشجع وقائدها مسعود بن رُخَيلة[195]وهم أربعمائة، وخرجت مُرّة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف[196]. وعسكر هؤلاء بمنطقة إلى جانب أُحُد[197].

ومع اشتداد الحصار فكّر الرسول بطريقة يشتت فيها هذه الجموع، فعرض على غطفان ثلث تمر المدينة في مقابل الانسحاب من الأحزاب، فوافقت غطفان على هذا العرض، ولكن زعماء الأنصار رفضوا ذلك بعد استشارة الرسول لهم، وقال سعد بن معاذ وسعد بن

---

[192] تغلمين من المراض على ميلين، والمراض على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة على طريق. ابن سعد. الطبقات الكبرى. ج2، ص86.

[193] المرجع السابق. ج2، ص62.

[194] عُيينة بن حصن بن حُذيفة بن بَدْر بن عمرو بن جُوَيّة الفزاري، أبو مالك. يقال كان اسمه حذيفة فلقّب عيينة، لأنّه كان أصابته شجّة فجحظت عيناه. أسلم قبل الفتح وشهدها، وشهد حُنيناً، والطائف، كان ممّن ارتد في عهد أبي بكر، ومال إلى طلحة، فبايعه، ثم عاد إلى الإسلام وعاش إلى خلافة عثمان. ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج6، ص98.

[195] مسعود بن رُخَيلة بن عائذ بن مالك الأشجعي، كان قائد أشجع يوم الأحزاب، ثم أسلم بعد غزوة الخندق وحسن إسلامه، وقد ارتحلت أشجع كلها، ونزلت في المدينة، وشهدت مع النبي جميع مغازيه بعد ذلك. المرجع السابق. ج4، ص767.

[196] الحارث بن عوف بن أبي حارثة المرّي، أحد الفرسان في الجاهلية، وأحد الكرماء المشهورين، وهو الذي شارك خارجة ابن سنان في تحمّل دماء حرب داحس والغبراء بين بني عبس وفزارة، تأخر إسلامه. المرجع السابق. ج2، ص159.

[197] الواقدي. المغازي. ج1، ص174.

عبادة: يا رسول الله: إنْ كانوا لَيأكلون العِلْهِز[198] في الجاهلية من الجَهْد، وما طمعوا بهذا منّا قط، أن يأخذوا تمرةً إلا بشرىً أو قِرىً! فحين أتانا الله تعالى بك، وأكرمنا بك، وهَدَانا بك نُعطي الدّنية! لا نعطيهم أبدًا إلا السيف[199]!

حتى بعد صلح الحديبية[200](6هـ/628م) ما زال بعض بني فُزارة، وجُذَام لا يزالون يناوشون المسلمين بحكم التّعرّب والإيغال بالبداوة، فاعتدى بعض بني جُذام على دِحْيَة الكلبي، وهو قادم من عند قَيْصَر وسلبوا ما معه من مال ومتاع، وكان قد اجتمع إليهم غطفان، ووائل، ومن كان من سَلامات وبَهراء، في حِسْمَى[1] وراء وادي القُرى، فأرسل النبي زيد بن حارثة إليهم في خمسمائة من الجند، فشنّ زيد الغارة عليهم وتمكن من قتل وأسر وسبي الكثير من بني جُذام، وكان بعض بني جُذام قد أسلم، وكتب لهم الرسول كتابًا، فجاءوا إلى النبي وبلّغوه الخبر، فأرسل النبي علي بن أبي طالب إلى زيد يأمره برد كل ما أخذه منهم[201].

لقد كانت البداوة متأصّلة في القبائل القاطنة إلى الشرق والشمال الشرقي من المدينة، وكانت الطّباع تختلف وتتباين بين هذه القبائل وبين تلك في غرب المدينة.

وعانى الرسول مع هذه القبائل الشرقية، أكثر مما عاناه مع غيرها من القبائل الأخرى، وكان الجفاء والقسوة واضحيْن في سلوك أفرادها. فقال بعد أن عانى الكثير معهم: "الإيمان في أهل الحجاز، وغِلظ القلوب والجفاء في الفدادين في أهل المشرق"[202]. وقال أيضًا:

---

[198] وبَرٌ يُخلط بدماء الحَلَمِ ثم يُشْوى، كانت العرب في الجاهلية تأكله في الجَدْب.ابن منظور. لسان العرب. ج5، ص381.

[199] الواقدي. المغازي. ج1، ص478.

[200] المباركفوري، صفي الرحمن. الرحيق المختوم. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 1994م، ص241.

[201] الواقدي. المغازي. ج1، ص222.

[202] ابن حنبل. المسند. حديث رقم: 14932، مسند جابر بن عبد الله، ج30، ص466. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير سليمان وهو ابن قيش اليشكري فقد روى له الترمذي وابن ماجه وهو ثقة.

"أسْلمُ وغِفَارُ ومُزَيْنَة وجُهَيْنَة، خيرٌ من بني تميم ومن بني عَامِر، والحَليفيْن بني أسَد وغَطَفَان"[203].

علاقة الرسول مع اليهود

ذكر ابن هشام قصة تهوّد قوم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن على إثر خراب سدّ مأرب (575م) لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير[204]. وذكر المؤرخون أيضًا أن ناسًا من الأنصار قبل الإسلام كانوا مسترضعين في بني قريظة وغيرهم من يهود، فتهوّدوا، وأن من الأنصار من رأى في الجاهلية أن اليهودية أفضل الديانات، فهوّدوا أولادهم[205]. والظاهر أن بعض الشخصيات تهوّدت إما بتأثير التبشير، وإما باختلاطها ودخولها في عشائر يهودية جاورتها فتأثرت بديانتها.

لم يكن اليهود كتلة واحدة متماسكة من الناحية السياسية، فقد اتحد بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس ضد بني قينقاع الذين انضموا إلى الخزرج. وانعكست الصراعات بين الأوس والخزرج على قبائل اليهود. وحين دخلت قبائل يثرب وبطونها معركة ضارية في يوم بُعاث، حاربت بعض قبائل اليهود ضد البعض الآخر، وبالغ بنو النضير وبنو قريظة في قتل أفراد بني قينقاع[206].

---

[203] البخاري. صحيح البخاري. كتاب المناقب، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع، حديث رقم: 3253، ج11، ص337.

[204] راجع تفاصيل القصة: ابن هشام. السيرة النبوية. ج1، ص133.

[205] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج12، ص91.

[206] المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية. القاهرة: دار الشروق، 1999م، ج11، ص22.

كان لانتشار اليهود واستقرارهم على الطرق التجارية دور في تنامي قوتهم، وربطت بينهم علاقات جيدة، وأحسنوا استغلالهم للمناطق التي سكنوها في مجالي التجارة والزراعة، فجمعوا الأموال وعلا شأنهم حتى أصبحت لهم الكلمة العليا في الحجاز[207].

وقد بلغ اليهود أوج قوتهم في حوالي القرن الخامس وحتى بداية القرن السادس الميلاديين، حيث كانت قريظة والنضير ملوكًا على يثرب[208]. غير أن قدوم الأوس والخزرج إلى يثرب في بدايات القرن السادس الميلادي أنهى القوة السياسية لليهود، حيث تمكن الخزرج بمساعدة الغساسنة من انتزاع السلطة من اليهود، وقد ساعد على ذلك وقوع الخلافات والنزاعات بين اليهود[209]. وكان العرب من الأوس والخزرج إبّان الهجرة أصحاب الكلمة العليا في يثرب، وبيدهم توجيه الأمور فيها، أما اليهود فقد اختلف أمرهم وتفرقت بطونهم، واستحكم العداء بينهم[210].

ومع ذلك فقد استطاع اليهود قبيل ظهور الإسلام من التحكم باقتصاد المدينة المنورة، وتمثل دورهم الاقتصادي في إنتاجهم الزراعي وممارستهم الحِرف اليدوية وكثير من الصناعات فضلاً عن دورهم التجاري[211].

يسجل المؤرخون توقّع اليهود خروج نبي مبعوث، وقد ذكروا عدة أخبار تفيد ذلك، فقد كان أهل يثرب يسمعون من أحبار يهود –إذ كانوا أهل كتاب عندهم علم– وكانت لا تزال

---

[207] ياسين، خالدة. موقف الرسول من يهود الحجاز دراسة تاريخية منهجية. نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 2009م، ص61.

[208] ابن رستة، أحمد بن عمر. الأعلاق النفيسة. بيروت: دار صادر، 1893م، ص177.

[209] سحاب، فكتور. إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف. بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 1992، ج1، ص102–104.

[210] حمشو، حسام. السيرة النبوية من خلال الكتب الستة دراسة تحليلية. ط1، عمان: الدار العثمانية، 2008م، ص163.

[211] ياسين. موقف الرسول من يهود الحجاز. ص65.

بين الأنصار وبينهم شرور، فإذا نالوا منهم بعض ما يكرهون، قالوا لهم: "قد تقارب زمان نبي يبعث الآن يقتلكم قتل عاد وإرم؛ أي يستأصلكم بالقتل، فكانوا كثيرًا ما يسمعون ذلك منهم"[212].

وذكرت المصادر أن رجلاً يهوديًا من الشام يقال له ابن الهيبان قدم يثرب، قال أهل يثرب: "فأقام عندنا، والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس خيرًا منه، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله بسنين، فكنا إذا قحطنا وقلّ علينا المطر نقول له: يا ابن الهيبان اخرج فاستسق لنا، فيقول: لا، والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة. فنقول: كم نقدم فيقول صاعًا من تمر، أو مدين من شعير، ثم يخرج إلى ظاهرة حرتنا ونحن معه فيستسقي، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب، قد فعل ذلك غير مرّة ولا مرتين ولا ثلاثة، فحضرته الوفاة فاجتمعنا إليه فقال: يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع، فقلنا: أنت أعلم. فقال: إنه إنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه، هذه البلاد مهاجره، فأتبعه فلا تسبقنّ إليه إذا خرج يا معشر يهود فإنه يسفك الدماء ويسبي الذراري والنساء ممن خالفه، فلا يمنعكم ذلك منه ثم مات"[213].

ومن تلك الأخبار أيضًا أن جارًا من اليهود لبني عبد الأشهل "خرج يومًا من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل. قال سلمة: وأنا يومئذٍ حدَث علي بردة لي مضطجع فيها بفناء أهلي، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار، قال: فقال: ذلك في أهل يثرب والقوم أصحاب أوثان لا يرون بعثًا كائنًا عند الموت، فقالوا له: ويحك أترى هذا كائنًا يا فلان أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى جنة ونار، ويجزون فيها بأعمالهم؟! قال: نعم والذي يحلف

---

[212] ابن اسحاق. السيرة النبوية. ج1، ص22. ابن الأثير. علي بن محمد. الكامل في التاريخ. تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م، ج1، ص273. الحلبي. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. ج1، ص300.

[213] ابن هشام. السيرة النبوية. ج2، ص39. البيهقي. السنن الكبرى. كتاب السير، باب الحربي يدخل بأمان وله مال في دار الحرب ثم يسلم، حديث رقم: 18042، ج9، ص114.

به، قالوا: يا فلان ويحك وما آية ذلك؟ قال: نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة، قالوا: ومتى نراه؟ قال: فنظر إلي، وأنا أصغرهم سنًا، فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه، قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تبارك وتعالى رسول الله، وهو حي بين أظهرنا فآمنا به، وكفر بغيًا وحسدًا، فقلنا له: ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت؟، قال: بلى، ولكنه ليس به"[214].

وهكذا اليهود من أهل يثرب كانوا يتوعّدون الأوس والخزرج بمقدم نبي مبعوث، ومن ذلك ما قاله حسان بن ثابت: "والله إني لغلام يفعة ابن سبع أو ثمان سنين، أعقل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًا وهو على أطمة يثرب يصرخ يا معشر اليهود، فلما اجتمعوا قالوا: ويلك ما لك؟ فقال: قد طلع نجم الذي يبعث الليلة"[215].

لكن كل هذه الروايات مصادرها إسلامية، ربما كانت في سياق إثبات نبوة محمد، والتأكيد على وجود البشارة بنبوة محمد في كتب اليهود. وهو أمر له مسوِّغه الظرفي في الصراع مع المخالفين، لكن الحقيقة أنه لا وجود لدليل قاطع على ثبوت نبوة محمد في كتب التوراة الحالية.

---

[214] الحاكم. المستدرك على الصحيحين. كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري رضي الله عنه، حديث رقم: 5764، ج3، ص 471. قال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم.

[215] الحاكم. المستدرك على الصحيحين. كتاب معرفة الصحابة، ذكر مناقب حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين في هجاء الشرك والمشركين، حديث رقم: 6056، ج3، ص 554. ابن هشام. السيرة النبوية. ج1، ص99.

اتخذ موقف الرسول من اليهود شكلين:

أولاً: الجدال.

فقد سجل المؤرخون أول احتكاك فعلي بين الرسول واليهود، وذلك باتصال محمد بالحَبر عبد الله بن سلام[216] وهو أحد أحبار اليهود السابقين والذي أسلم وحسن إسلامه[217]، وكان من كِبار علماء يهود يثرب، ولما سمع بمقدم رسول الله المدينة (1هـ/623م) في بني النجار جاءه مستعجلًا، وألقى إليه أسئلة لا يعلمها إلا نبي، ولما سمع ردوده عليها آمن به ساعته ومكانه، ثم قال له: "إن اليهود قوم بُهْتٌ[218] –كذِب–"[219]. ودعا اليهود إلى الدخول بهذا الدين والإقرار أنه النبي المنتظر الذي يجدونه مكتوبًا في كتبهم؛ ولكنهم أبوا ورفضوا وعاندوا حسدًا من عند أنفسهم؛ فعند ذلك عقد الرسول معهم معاهدة وكان أهم بنودها فيما يتعلق باليهود:

"**أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين**"[220].

---

[216] الإمام الحبر، المشهود له بالجنة. أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار. من خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. ط9، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م، ج2، ص413.

[217] البخاري. صحيح البخاري. كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، حديث رقم: 3621، ج12، ص 299. ابن هشام. السيرة النبوية. ج3، ص50، ابن كثير. السيرة النبوية. ج2، ص 295.

[218] قوم بُهت يعني؛ قوم كذَابون. ابن منظور. لسان العرب. ج2، ص 12.

[219] البخاري. صحيح البخاري. كتاب حديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم: 3082، ج11، ص 110. ابن كثير. السيرة النبوية. ج2، ص 296.

[220] ابن هشام. السيرة النبوية. ج3، ص34. ابن كثير. البداية والنهاية. ج3، ص276.

وجاء في الوثيقة[221] أن الحكم في المدينة لله ورسوله كما في البند الآتي: "**وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله**"[222].

روى بنود المعاهدة ابن هشام[223]، وابن كثير[224]، وابن سيد الناس[225]، كلهم عن ابن إسحاق[226] دون ذكر سند. وعلى كل حال فإننا سنناقش هذه الوثيقة –رغم ضعف سندها–.

فالقرآن المدني يناقض ما ورد في تلك المعاهدة فيما يتعلق ببند: ﴿**وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء۞ فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد**". ذلك بقوله: "**فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[227]. فقد قيل إنها نزلت في الديَة من بني النضير وقريظة في عام (4هـ/626م)[228]، وذلك أن قتلى بني النضير كان لهم شرف يريدون الدية كاملة، وأن بني قريظة كانوا يريدون نصف الدية، فتحاكموا في ذلك إلى الرسول، فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم

---

[221] هناك تساؤل: هل تمّ كتابة الوثيقة قبل بدر أم بعدها؟؟ أم أنهما كتابان في زمانين مختلفين؟ أم أنه تم جمعهما في وثيقة واحدة فيما بعد؟

[222] ابن هشام. السيرة النبوية. ج3، ص 34. ابن كثير. السيرة النبوية. ج2، ص322.

[223] ابن هشام. السيرة النبوية. ج3، ص 34.

[224] ابن كثير. السيرة النبوية. ج2، ص322. البداية والنهاية. ج3، ص275.

[225] ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ج1، ص 261.

[226] قال الدارقطني: اختلف الأئمة فيه وليس بحجة إنما يعتبر به. ولم يخرجه البخاري من أجل روايته المطولات، وقد استشهد به وأكثر عنه فيما يحكى في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وفي أحواله وفي التواريخ، وهو عالم واسع الرواية والعلم ثقة. ابن حجر، أحمد بن علي. تهذيب التهذيب. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996م، ج9، ص 40.

[227] آل عمران: 42.

[228] الحلبي. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. ج2، ص 334.

الرسول على الحق، فجعل الدية سواء[229]. وقيل نزلت في اليهوديين اللذين زنَيَا[230]. سواء كان الحكم في قضية ديَة قتلى أو حكم فيمن زنى، واضح أن القرآن لم يلزم اليهود بضرورة التحاكم إلى محمد، ولا ألزم محمدًا بضرورة تنفيذ الأحكام على اليهود.

يبدو أن المعاهدة وردت فيها بنود عن الحماية والدفاع المشترك، والدليل على ذلك الممارسة الفعلية بإنزال العقوبات على من خالف تلك البنود[231]. فمن المقرر عند علماء القانون الدولي أن المعاهدة تنتهي من تلقاء نفسها في مثل حالات معدودة منها: "بتحقق شرط فاسخ منصوص عليه في المعاهدة على أن تحقّقه يلغيها"[232].

أما بخصوص البند الذي يؤكد على أن الحكم الأول والأخير للرسول فقد اعتبر المستشرق والمؤرخ نولدكه "أن من مقتضيات هذا البند ما يوحي بأن النبي كان يرغب في إقامة ضرب من الحكم الثيوقراطي في المدينة"[233].

لكن واضح أن نصوص القرآن الكريم تخالف مثل هكذا بنود، إذ جعلت التحاكم إلى الرسول أمرًا اختياريًا. وأمرت أهل الكتاب أن يتحاكموا إلى كتبهم الخاصة. وذلك في قوله تعالى: ﴿**لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[234]. وكذلك: ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ**

---

[229] السيوطي. الدر المنثور في التأويل بالمأثور. ج3، ص 384.

[230] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة، 1999م، ج3، ص 119.

[231] كما سيأتي لاحقًا.

[232] العطية، عصام. القانون الدولي العام. بيروت: الدار الجامعية، 1989م، ص111. وانظر المواد من 54-62 من اتفاقية فينّا لقانون المعاهدات لسنة 1969م.

[233] نولدكه، ثيودور. تاريخ القرآن. ترجمة: جورج تامر، كولونيا: منشورات الجمل، 2008م، ص150.

[234] المائدة: 47.

ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾[235]. فإن سلّمنا أن التوراة والإنجيل آنذاك محرّفان فلمَ يأمر القرآن اليهود والنصارى بالتحاكم إلى المحرَّف؟! يبدو أنه يدعوهم لاستخراج النسخ الأصلية غير المحرفة التي قد أخفوها واستبدلوها بكتب كتبوها بأيديهم.

لذا فقد أمر الله بإقامة التوراة والإنجيل، ولا يكون ذلك الأمر إلا لعلمه بوجود الكتب غير المحرفة:﴿**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[236]، واضح أنهم كانوا يخفون تلك النسخ المتبقية الأصيلة: ﴿**يا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ..﴾**[237]. ويظهرون ما حرّفوه ﴿**فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ** -الكتاب الأصلي- **وَاشْتَرَوْا بِهِ** - المحرف- **ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾**[238].[239]، ففي قوله تعالى: ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾**[240]. اعتراف صريح بالاختلاف بين أحكام القرآن وأحكام التوراة والإنجيل، وأن أحكام التوراة يجب أن تطبق على اليهود، تمامًا مثلما تطبق أحكام القرآن على المسلمين[241]. وهذا ما يوافق المعاهدة في بند: "**لليهود دينهم وللمسلمين دينهم**".

وقد ورد في المعاهدة بند يقرر: "**ولا يقتل مؤمن مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرًا على مؤمن**"[242]. فليس المقصود منه أن لا يُقتل مؤمن بكافر معاهد له ذمة، بل إنه يُقتل به؛

---

[235] المائدة: 43.

[236] آل عمران: 93.

[237] المائدة: 15.

[238] آل عمران: 187.

[239] آيات قرآنية تفيد تحريف بعض أهل الكتاب لكتبهم انظر: البقرة: 79، الأنعام: 91، الرعد: 36.

[240] المائدة: 43.

[241] الجابري، محمد. مدخل إلى القرآن الكريم. ص206.

[242] ابن هشام. السيرة النبوية. ج3، ص 33. حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. ط3، بيروت: دار الإرشاد، 1969م، ص43.

لأن القرآن قرّر أنّ: ﴿**الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى**﴾[243]. بغض النظر عن ديانته واعتقاده. وأنه لا يُقتل مسلم بكافر محارب. وهذا ما ذهب إليه الحنفية حيث خصصوا الكافر بالحربي، وليس عموم الكفار[244]. ولا التفات ولا اعتبار لما يرى جمهور الفقهاء من أنه لا يقتل حر بذمي ولا يقتل مسلم بذمي حر، بحجة أن الإسلام أعلى من حرية الذمي، والأعلى لا يقتل بالأدنى[245]. وما استدلوا به: "لا يقتل مسلم بكافر"[246]. فالقرآن هو الأعلى حيث قرّر أن النفس بالنفس.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الرسول –على فرض صحة المعاهدة– قد ضمِن الحرية الدينية لليهود، وهذا أصل أصيل في دعوته، ولا صحة على إلزام اليهود في حال اختلافهم بالتحاكم إلى محمد، وخاصة أن السيطرة الاقتصادية كانت تحت أيديهم، فلا يعقل أن يُلزموا بالتحاكم إليه. ومن جهة أخرى هناك إشارات واضحة إلى ضرورة الدفاع عن المدينة، وإلزام اليهود في ذلك كونهم مواطنين فيها، والدليل على ذلك إنزال عقوبات متعارف عليها فيمن يخذل العهد، أو يحرض على نكث الوعد. وأخيرًا لا يمكن للنفس الآدمية أن تختلف باعتبار الدين، بل تختلف في حالة أنها مسالمة أو محاربة، فلا تساوي بينهما.

ساد الخطاب القرآني في المرحلة المكية على أن القرآن مُصدّق لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وكان مجاله في ذلك الناحية العقدية، وبالتحديد عقيدة التوحيد التي جاء بها الرسل من قبل، حيث كان الخطاب يتحرك ضمن مسار توحيد/ شرك، إيمان/ كفر. ﴿**وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى**

---

[243] البقرة: 178.

[244] الجزيري، عبد الرحمن. الفقه على المذاهب الأربعة. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ج5، ص 136.

[245] المرجع السابق. ج5، ص 150.

[246] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الديات، باب العاقلة، حديث رقم: 6394 ، ج21، ص 213.

لِلْمُحْسِنِينَ﴾[247]. لكن بعد الهجرة إلى المدينة بدأت مرحلة ثانية جديدة من علاقة محمد بأهل الكتاب، فقد بدأ محمد يحاول كسب اليهود إلى جانبه، وذلك بالاقتراب منهم، وينطبق ذلك على قبول بعض الطقوس الشعائرية مثل صيام عاشوراء، والتوجه إلى القدس أثناء الصلاة، ووصل هذا الوضع من العلاقات الإسلامية – اليهودية إلى نهايته مع توقف التوجه إلى القدس، قبل معركة بدر بقليل، فعندما لم يجد محمد أي استجابة من قِبل يهود المدينة، وعارضوا تعاليمه التي بدت غريبة في آذانهم وكانوا غير مستعدين لدعمه أثناء تحقيق خططه بخصوص مكة والعرب الوثنيين، وصل الجدال بينه وبينهم إلى القطيعة مبكرًا. وطُبع الجدال منذ ذلك الحين بطابع العداء، وانعكس هذا الجدال في القرآن بأساليب متنوعة بعضها أخبار تتصل بقضايا عقدية، وقصص لها صلة بالعهدين القديم والجديد، وذكر أمثلة من التاريخ المقدس [248].

محاولات الرسول كسب اليهود:

قِبلة الصلاة: كان الرسول يستقبل صخرة بيت المقدس؛ وهي قبلة اليهود، فاستقبلها الرسول سبعة عشر شهرًا، ليؤمنوا به ويتبعوه، ويدعوا بذلك الأميين من العرب[249]. فلما لم يستجب اليهود لدعوة محمد، صرفت القِبلة عن الشام إلى الكعبة، وصرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهرًا من مقدم الرسول المدينة[250].

---

[247] الأحقاف: 12.

[248] بوسه. أسس الحوار في القرآن الكريم. ص72.

[249] الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن. ج2، ص527. السيوطي. الدر المنثور في التأويل بالمأثور. ج1، ص279.

[250] ابن هشام. السيرة النبوية. ج3، ص86.

صيام عاشوراء: يذكر المؤرخون والمحدثون أن الرسول "كان يصومه في الجاهلية مع أهل مكة، كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله يصومه"[251]. وأنه لما قدم المدينة[252] (1هـ/623م) وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عنه. فقالوا: هذا يوم عظيم، وهو يوم نجى الله فيه موسى وأغرق آل فرعون، فصامه موسى شكرًا لله. فقال: "أنا أولى بموسى منهم، فصامه وأمر بصيامه"[253]. وقد شدّد في الحث على ذلك لدرجة أنه أرسل غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: "من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائمًا فليصم"[254]. وقال بعدها: "فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع". قال: فلم يأتِ العام المقبل حتى توفي الرسول"!![255]. وأفاد المحدثون أنه حينما فُرض رمضان ترك الرسول صيام عاشوراء: "كان يُصام قبل أن ينزل رمضان، فلما نزل رمضان ترك"[256]. وفي رواية: "إنما هو يوم كان الرسول الله يصومه قبل أن ينزل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك صيامه"[257].

ومعلوم أن فرض رمضان كان في السنة الثانية للهجرة(2هـ/624م)[258]، لذا فلم يصُمْ الرسول إلا مرة واحدة، وهو أول دخوله المدينة، وذلك لكسب اليهود لجانبه، بأن هنالك نقاطًا

---

[251] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، حديث رقم: 1863، ج7، ص125.

[252] أي أول مناسبة لعاشوراء له بعد قدومه المدينة، حوالي بعد عشرة أشهر.

[253] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: "وهل أتاك حديث موسى"، حديث رقم: 3216، ج3، ص 1244.

[254] المرجع السابق. صحيح البخاري. كتاب الصوم، باب صوم الصبيان، حديث رقم: 1960، ج7، ص 284.

[255] مسلم. صحيح مسلم. كتاب الصيام، باب أي يوم يصام في عاشوراء، حديث رقم: 1916، ج5، ص 479. قوله:"فلم يأتِ العام المقبل حتى توفي الرسول" لا يمكن قبول هذه الرواية فقد عاش محمد بعدها أعوامًا.

[256] البخاري. صحيح البخاري. كتاب التفسير، باب تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون"، حديث رقم: 4233، ج4، ص 1637.

[257] مسلم. صحيح مسلم. كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، حديث رقم: 2704، ج3، ص 148.

[258] أي بعد الهجرة بسبعة عشر شهر.

مشتركة، وهو الإيمان بنبوة موسى، ولكن اليهود سرعان ما رفضوا دعوة محمد، فترك صيام عاشوراء بصوم رمضان.

ولئن كان منهج الإسلام في التعامل مع أهل الكتاب وفق قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[259]. إلا أن الأمر بدأ يختلف، وأخذ يتجه بمسار سلبي، فقد رأى اليهود في الإسلام منافسًا قويًا فرفض معظمهم الاعتراف به، وقد سجل القرآن مواقف عدائية من جانب اليهود، فقد بدأ بالتذكير والتحذير كما في قوله: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[260]. ﴿**وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[261]. وذلك بما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزمان، فإن لكل زمان عالمًا[262].

ويواصل القرآن تسجيل مواقفهم العدائية، ويذكرهم بما عُرف عنهم في التاريخ من معاداة الأنبياء، ﴿**إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[263]. ووصفهم باللعن: ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَا يُؤْمِنُونَ**﴾[264]. وبيّن عقابهم في الآخرة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ**

---

[259] العنكبوت: 46.

[260] البقرة: 40-42.

[261] البقرة: 74. آيات التفضيل انظر: المائدة: 20.

[262] ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج1، ص 255.

[263] البقرة: 91.

[264] البقرة: 88. آيات اللعن انظر: المائدة: 78-79.

﴿يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[265]. وذكَر مسالكهم السيئة: مثل قولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَاء اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[266]. وقولهم: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[267]. قال بعض أهل العلم أن الذي يقول ذلك بعض اليهود وليس كلهم، بل الصدوقية[268] من اليهود وباقي الطوائف تنكر هذا. قال ابن حجر: "ويمكن أن يجاب: بأن خصوص هذا الخطاب لمن كان متصفًا بذلك، ومن عداهم يكون جوابهم ذكر من كفروا به"[269]. وقولهم: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ﴾[270]. ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[271]. فالقرآن يقرّر أن الجنة: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوآ يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾[272]. وكذلك قولهم: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾[273]. وقولهم: ﴿وَقَالَتْ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ﴾[274]. ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ

---

[265] آل عمران: 77.

[266] المائدة: 18.

[267] التوبة: 30.

[268] طائفة من اليهود نسبوا إلى رجل يقال له صدوق وهم يقولون من بين سائر اليهود إن العزير ابن الله وكانوا بجهة اليمن انظر: ابن حزم. الفصل في الملل. ج1، ص82.

[269] ابن حجر. فتح الباري. ج11، ص449.

[270] البقرة: 135.

[271] البقرة: 111.

[272] النساء: 123-124.

[273] البقرة: 80.

[274] المائدة: 64.

وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[275]. ومطالبتهم بإنزال كتاب:﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾**[276].

يلاحظ أن الخطاب القرآني لليهود كان بعدة أسماء، يناديهم ببني إسرائيل في معرض تذكيرهم بنعمه عليهم، وخاصة أيام بعث لهم نبيه موسى، ثم لما عصوا ربهم بعد خروجهم من البحر، وبعد نجاتهم من عدوهم، ولما دعا لهم موسى طالبًا المغفرة، وحثهم على التوبة صاروا ينادون باليهود؛ لأنهم هادوا أي تابوا[277]. لكن سبب تسمية اليهود يهودًا إنما يرجع إلى (يهوذا) أحد أبناء النبي يعقوب، والذي معناه أحمدُ الله[278].

لكن مع كل ذلك فاليهود ليسوا على مرتبة واحدة، فقد قرّر القرآن ذلك مرارًا: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾**[279].

تساؤلاتهم وتعنتهم:

"سأل اليهود محمدًا زمانًا عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوه عنه فيخصهم. فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا!"[280].

---

[275] آل عمران: 181.

[276] النساء: 135.

[277] الحوشان، يوسف بن حمود. الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري، جمعًا ودراسة عقدية. الرياض: كلية أصول الدين، رسالة دكتوراة في العقيدة والمذاهب المعاصرة، 1424هـ، ج2، ص 116.

[278] الكتاب الشريف. التوراة والمزامير وصُحف الأنبياء والإنجيل الشريف. بيروت، 2007م، سفر التكوين، الإصحاح:29، الآية:35، ص 28.

[279] آل عمران: 113-115.

[280] الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن. ج2، ص 406.

فقد سألوه عدة مرات مجموعة أسئلة فكان يجيبهم عليها، لكنهم كانوا يقابلون الجواب بالتعنت مع اعترافهم الضمني بأنه حق. من هذه الأسئلة: "أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ ومن أول الناس إجازة؟ وما غذاؤهم على إثرها؟ وما شرابهم عليه؟"[281]، وسألوه مرةً عن الروح[282]، وسألوه كذلك: "ما علامة النبي؟ كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر؟ عن الرعد ما هو؟ ما هذا الصوت الذي يسمع؟ ما حرّم إسرائيل على نفسه؟ من الذي يأتيك من الملائكة؟ فإنه ليس من نبي إلا ويأتيه ملك من الملائكة بالرسالة والوحي فمن صاحبك؟"[283]، ومرة سألوه: "ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟"[284].

زواج الرسول من اليهوديات

تزوج الرسول من يهوديات بعد انتهائه من محاربة قومهنّ، فزواجه بهنّ كان من آثار الحرب، أي كوْنهنّ سبايا، على عادة زعماء العشائر حال غلبهم وظفرهم على الأعداء فإنهم يصطفون من نساء الأعداء زوجات لهم كسبايا. وأولى تلك اليهوديات جويرية بنت الحارث من بني المصطلق (5هـ/626م)، سُبيت في غزوة بني المصطلق، ووقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق، فأدى عليه الصلاة والسلام عنها ذلك وتزوجها. وقيل جاء أبوها فافتداها ثم نكحها الرسول، وقيل إنها كانت بملك اليمين فأعتقها الرسول، وتزوجها وكان

---

[281] مسلم. صحيح مسلم. كتاب الحيض، باب بيان صفة منى الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما، حديث رقم: 742، ج1، ص 173.

[282] البخاري. صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن، حديث رقم: 4352، ج14، ص339.

[283] الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، الموصل: مكتبة العلوم الحكم، 1983م، حديث رقم: 12429، ج12، ص45. ابن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، حديث رقم: 2483، ج1، ص274. قال شعيب الأرنؤوط: حسن دون قصة الرعد، فهي منكرة.

[284] الحاكم. المستدرك على الصحيحين. كتاب التفسير، تفسير سورة حم الدخان، حديث رقم: 3683، ج2، 487.

اسمها بَرّة فسماها الرسول جويرية. وقد قالت عائشة عنها: كانت جويرية عليها ملاحة وحلاوة لا يكاد يراها أحد إلا وقعت بنفسه[285].

ثم تزوج ريحانة بنت شمعون بن زيد من بني النضير، وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة يقال له الحكم، ثم إن الرسول سباها من غزوة بني قريظة (5هـ/626م) ، فأبت إلا اليهودية، فوجد الرسول في نفسه، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه، فقال: هذا ثعلبة بن سعية يبشرني بإسلام ريحانة، فبشّره وعرض عليها أن يعتقها ويتزوجها، ويضرب عليها الحجاب، فقالت: يا رسول الله، بل تتركني في ملكك، فهو أخف علي وعليك فتركها[286]. وروي أنها كانت عند الرسول لم يعتقها، وكان يطأها بملك اليمين[287].

ثم تزوج صفية بنت حيي زعيم بني النضير يوم فتح خيبر(7هـ/628م). وكانت عروس ابن أبي الحقيق. وقد أمر الرسول بضرب عنقه وبعث إلى ذريته أتى بصفية بنت حيى بن أخطب. فأمر بلالاً فانطلق بها إلى منزل الرسول. وأكثر الناس فيها فقائل: سريته. وقائل يقول: إمرأته وإن لم يحجبها فهي سريته. فأخرجها الرسول فحجبها. وقد كان عرض عليها قبل ذلك أن يتخذها سرية أو يعتقها وينكحها. قالت: لا بل أعتقني وأنكحني ففعل[288]. قالت عائشة: "لما قدم الرسول المدينة وهو عروس بصفية بنت حُيي جئنَ نساء الأنصار فأخبرن عنها. قالت: فتنكرت وتنقبت فذهبت، فنظر رسول الله إلى عيني فعرفني. قالت: فالتفت

---

[285] الحلبي. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. ج3، ص 413.

[286] ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج7، ص658. ابن سعد. الطبقات الكبرى. ج8، ص131.

[287] ابن سعد. الطبقات الكبرى. ج8، ص 131.

[288] ابن سعد. غزوات الرسول وسراياه. ج1، ص 58.

فأسرعت المشي فأدركني فاحتضنني. فقال: "كيف رأيتِ؟" قالت: قلت: "أَرْسِلْ -واتركني-! يَهُودِيَّةٌ وَسْطَ يَهُودِيَّاتٍ"[289].

ثانيًا: الصراع العسكري.

لما أصاب رسول الله قريشًا يوم بدر(2 ه/624م)، ولم يكن مضى عليها إلاّ شهر تقريبًا[290]، وقدم المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال لهم: يا معشر يهود! أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا. فقالوا: يا محمد! لا يغرنّك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا غمارًا لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلقَ مثلنا"[291].

وأول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع، وتمثل نقضهم للعهد بأن امرأة مسلمة جاءت بجلب لها، فباعته بالسوق، ومالت إلى صائغ يهودي لتشتري منه مصاغًا[292]، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا بها، فصاحت: واكشفتاه! فسمعها رجل مسلم فهب لنجدتها، فرأى ما بها، فوثب على اليهودي فقتله، فقام يهود فاشتدوا على المسلم فقتلوه، وهبّ رجال من المسلمين للحادث فاقتتلوا مع اليهود، فعلم الرسول بذلك وأنهم غدروا، فسار إليهم بجنود الله، ولما رآهم اليهود تحصنوا بحصونهم، وكان عدد المقاتلين من اليهود سبعمائة رجل، فحاصرهم الرسول أشد الحصار، وكان ذلك في شوال من السنة الثانية للهجرة بعد

---

[289] ابن ماجه، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه. بيروت: دار الفكر، كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء، حديث رقم: 1970، ج6، ص 122. قال الألباني: ضعيف.

[290] ابن سعد. الطبقات الكبرى. ج2، ص28.

[291] أبو داود. سنن أبي داود. حديث رقم: 3003، كتاب الخراج، عمان: دار كنوز المعرفة العلمية، 2009م، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، ج3، ص115. قال الألباني: ضعيف الإسناد.

[292] ابن هشام. السيرة النبوية. ج3، ص 314.

غزوة بدر[293]، فنزلوا على حكمه وأراد قتلهم، فاستوهبهم منه عبد الله بن أُبي، وكانوا حلفاءه فوهبهم له[294]، وأخرجهم من المدينة فذهبوا إلى أذرعات[295].

إن رواية كشف سوءة المرأة المسلمة رواية مرسلة[296]معلقة مدارها على أبي عون واسمه محمد بن عبد الله الثقفي الكوفي الأعور مات سنة (116هـ/734م) فهو تابعي صغير لم يدرك الحادثة، وعبد الله بن جعفر المخرمي من شيوخ الإمام أحمد مات سنة (170هـ/786م)[297]، لذا يمكن القول إن هذه الرواية لا تثبت.

على ما يبدو أن المؤرخين لم يذكروا رواية تستحق الاعتبار في سبب حصار الرسول لبني قينقاع! ويرى المؤرخ الإسرائيلي ولفنسون أن الرسول أراد أن يُطهّر المدينة وأحياء الأنصار من المشركين ومن جميع من يخالفون دينه[298].

أما بنو النضير فقد حاولوا اغتيال الرسول في ربيع أول (4هـ/625م)، فحاصرهم ثم أخرجهم من المدينة كما سيأتي بيانه.

أما بنو قريظة وكان نقضهم عهد الرسول يوم الخندق –يوم الأحزاب– في شهر ذي القعدة (5هـ/626م)، حيث كان الأحزاب من المشركين يحاصرون المدينة، والمسلمون يشعرون بالخوف؛ فاستغل بعض يهود بني قريظة هذا الوضع ليهزوا المسلمين من الداخل؛

---

[293] المباركفوري. الرحيق المختوم. ج1، ص200.

[294] ابن القيم، محمد بن أبي بكر. زاد المعاد في هدي خير العباد. ط30، بيروت: مؤسسة الرسالة،1418 هـ، ج3، ص 126–127.

[295] وهو بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان، ينسب إليه الخمر. الحموي. معجم البلدان. ج1، ص130.

[296] الإرسال في الروايات: عَلَمٌ على ما سَقَط ذكرُ الصحابي من إسناده، فيقول التابعيُّ: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم. وغالبُ المحقِّقين يَعُدُّون المراسيلَ مُعْضَلاتٍ ومنقطِعات. الذهبي، محمد بن أحمد. الموقظة في علم مصطلح الحديث. ج1، ص 6.

[297] الألباني، محمد ناصر الدين. دفاع عن الحديث النبوي والسيرة. بيروت: المكتب الإسلامي.ج1، ص 26.

[298] ولفنسون. تاريخ اليهود في بلاد العرب. ص128.

حيث إنهم أعانوا المشركين المحاصرين للمدينة بالطعام والرجال. فحاصرهم الرسول خمسًا وعشرين ليلة[299]، فلما جهدهم الحصار انتهى أمرهم إلى سعد بن معاذ[300]، وجيء بسعد فكان حكمه أن تُقتل المقاتِلة[301] وأن تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ[302] وتُقسَّم الأموال. فقال الرسول: "لقد حكمت فيهم بحكم الله"[303].

ومما يجدر ذكره أن بعض يهود بني قريظة الذين بقوا على ولائهم قد أعانوا المسلمين في حفر الخندق[304]. قدّم بعضهم أدوات الحفر من مساح وكرازين ومكاتل، وتركت ناحية العوالي لم يخندق من ناحيتها اعتمادًا على الحصون اليهودية بها[305].

فليس كل بني قريظة نقضوا العهد، أما بالنسبة للعقوبة التي لحقت بهم، فإنه من حق محمد طبقًا لتقاليد العربية القديمة أن يقتل كل أفراد القبيلة، لكن محمدًا أبقى على حياتهم شريطة أن يغادروا الواحة[306]. ولم يكن لدى محمد في تلك اللحظة سوى الأخلاقيات القبلية التي كانت تبيح مثل ذلك الإجراء[307].

---

[299] ديورانت، ول. قصة الحضارة. ط2، القاهرة: جامعة الدول العربية، 1964م.ج13، ص388.

[300] هو ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل. السيد الكبير الشهيد، أبو عمرو الأنصاري الأوسي الأشهلي، البدري الذي اهتز العرش لموته!!. ومناقبه مشهورة في الصحاح، وفي السيرة. الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج1، ص 279.

[301] يقصد بهم القادرين على حمل السلاح والقتال، وكانت طريقة تمييزهم بالنظر إلى علامات البلوغ ومن أهمها نبات شعر العانة. وهذه رواية شاهد عيان وهو عطية القرظي قال: "كنت من سبي بني قريظة، فكانوا ينظرون فمن أنبت الشعر قُتل، ومن لم يُنبت لم يُقتل، فكنت فيمن لم يُنبت. انظر: أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الحدود، باب في الغلام يصيب الحد، حديث رقم: 4406، ج4، ص 245. قال الألباني صحيح.

[302] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسِّير، باب إذا نزل العدو على حكم رجل، حديث رقم: 2816، ج10، ص 251.

[303] مسلم. صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، حديث رقم: 3315، ج9، ص 224.

[304] هيكل، محمد حسين. حياة محمد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1968م، ص330.

[305] الشريف. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم. ج1، ص 391.

[306] آرمسترونج، كارين. محمد. ترجمة: د. فاطمة نصر، د. محمد عناني، ط2، 1998م، ص276.

[307] المرجع السابق. ص309.

أما يهود خيبر(7هـ/ 628م) فقد نزل فيها بعد حادثة إجلاء بني النضير أبرز زعماء بني النضير سلام ابن أبي الحقيق وكنانة بن أبي الحقيق، حيي بن أخطب فلما نزلوا دان لهم أهلها[308]. وكان تزعّم هؤلاء ليهود خيبر كافيًا في جرّها إلى الصراع والتصدي والانتقام من المسلمين، فقد كان يدفعهم حقد دفين ورغبة قوية في العودة إلى ديارهم داخل المدينة، وكان أول تحرك قوي ما حدث في غزوة الأحزاب حيث كان لخيبر وعلى رأسها زعماء بني النضير دور كبير في حشد قريش والأعراب ضد المسلمين وتسخير أموالهم في ذلك، ثم سعيهم في إقناع بني قريظة بالغدر والتعاون مع الأحزاب[309]. فقد أتى الرسول أهل خيبر فقاتلهم حتى ألجأهم إلى قصرهم، وغلبهم على الأرض والزرع والنخل، فصالحوه على أن يجلوا منها، ولهم ما حملت ركابهم، وللرسول الصفراء والبيضاء والحلقة؛ وهي السلاح، ويخرجون منها، واشترط عليهم ألا يكتموا ولا يغيبوا شيئًا، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد، فغيبوا مسكًا فيه مال وحُلي لحيي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير، فقال الرسول لعم حيي واسمه سعيه: "ما فعل مَسْكُ[310] حيي الذي جاء به من النضير؟" قال: أذهبته النفقات والحروب. فقال: "العهد قريبٌ، والمال أكثر من ذلك". وقد كان حُيي قُتل قبل ذلك، فدفع الرسول سعيه إلى الزبير فمسّه بعذابٍ، فقال: قد رأيت حُيَيًا يطوف في خربة ها هنا، فذهبوا فطافوا فوجدوا المَسك"[311].

---

[308] العمري، أكرم. السيرة النبوية الصحيحة. ط1، المدينة المنورة: مكتبة المعارف والحكم، 1992م، ج1، ص319.

[309] الصلابي. السيرة النبوية.. عرض وقائع وتحليل أحداث. ج8، ص128.

[310] المسك: الجلد، والمراد به ها هنا ذخيرة من صامت وحلي كانت لحيي بن أخطب، وكانت تدعى مسك الجمل. ابن الأثير، علي بن محمد. جامع الأصول في أحاديث الرسول. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط1، مكتبة الحلواني، 1971م حديث رقم: 1130، ج2، ص642.

[311] الحميدي، محمد بن فتوح. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. تحقيق: علي حسين البواب، ط2، بيروت: دار ابن حزم، حديث رقم: 45، ج1، ص44.

ثم استبقى الرسول اليهود بأرض خيبر للمزارعة على أن يعطوا نصف الثمر للمسلمين. ليسوا شركاء ولكن عمالاً يطردهم متى شاء فقال لهم الرسول: "إنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم"[312]. فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى الرسول يسألونه أن يسيرهم وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال ففعل[313]. وصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت أموال خيبر فيئًا بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول؛ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب[314].

وأما يهود وادي القرى (جمادى ثانية 7هـ/ 628م) حاصرهم الرسول وهو في طريقه إلى المدينة أربعة أيام، وقتل منهم أحد عشر رجلاً، وفتح ديارهم بالقوة، ثم قسمهم الرسول كغنائم على أصحابه، واستبقاهم لزراعة الأرض وعاملهم عليها. وأخيرًا يهود تيماء وأذرح فقد صالحوا الرسول على الجزية بعد علمهم بهزيمة يهود وادي القرى[315].

محاولات اليهود اغتيال الرسول

يسجل المؤرخون أول محاولة قام بها اليهود لاغتيال الرسول وذلك عندما ذهب إلى بني النضير (4هـ/625م) في نفر من أصحابه، وكلمهم أن يعينوه في دية الرجلين – الكِلابِيَيْنِ– اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأً، وطلب منهم الرسول ذلك بناءً على المعاهدة التي بينه وبينهم، فقالوا: "نفعل يا أبا القاسم! اجلس هنا حتى نقضي حاجتك. فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ... وخلا اليهود بعضهم إلى بعض، وسوّل لهم الشيطان سوءًا،

---

[312] ابن هشام. السيرة النبوية. ج4، ص 308.

[313] ابن هشام. السيرة النبوية. ج4، ص 308.

[314] البيهقي. دلائل النبوة. باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بفتح خيبر، حديث رقم: 1571، ج4، ص 310.

[315] الواقدي. المغازي. ج3، ص 713. ابن القيم. زاد المعاد في هدي خير العباد. ج3، ص 313. ابن كثير. السيرة النبوية. ج2، ص 412.

فتآمروا على قتله، بأن يصعد أحدهم الجدار فيلقي عليه صخرة كبيرة فتقتله، فنزل جبريل عليه السلام من عند رب العالمين على الرسول يخبره الخبر، فقام الرسول مسرعًا وتوجه إلى المدينة، ثم لحقه أصحابه فأمر الرسول بالتهيؤ لحربهم، وكان ذلك في السنة الرابعة بعد غزوة أحد، فلما نزل الرسول بهم يعني ببني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر الرسول بقطع النخل، والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟!"[316] فأنزل الله عز وجل: ﴿**مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**﴾[317]. فحاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ، فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم، وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام[318].

لكن المؤرخ الإسرائيلي ولفنسون يرى أن النبي قد غضب على بني النضير لعدم اشتراكهم معه في موقعة أحد[319]. وكلامه غير مدعمّ بالبراهين.

نكث بنو النضير ما عاهدوا عليه محمدًا، حيث امتنعوا عن معاونته في دفع الدِّيَة، ثم حاولوا اغتياله، فقد بدت العداوة واضحة، فكان لا بد من معاقبتهم فحوصروا، وحُرقت نخلهم، وهذه العقوبة كانت مما هو متعارف عليه عند اليهود، فقد ورد في توراتهم: "وإذا حاصرتم مدينة حِقبة طويلة معلنين الحرب عليها لافتتاحها، فلا تقطعوا أشجارها بحد الفأس وتتلفوها؛ لأنكم تأكلون من ثمارها، هل شجرة الحقل إنسان حتى يهرب أمامكم في الحصار؟ أما الأشجار التي لا يُؤكل ثمرها فأتلفوها واقطعوها، لاستخدامها في بناء حصون حول المدينة

---

[316] ابن هشام. السيرة النبوية. ج2، ص 191. الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص 84.

[317] الحشر: 5.

[318] ابن هشام. السيرة النبوية. ج2، ص 191. الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص 84. البيهقي. دلائل النبوة. ج3، ص 436.

[319] ولفنسون. تاريخ اليهود في بلاد العرب. ص135.

المحاصرة المتحاربة معكم، إلى أن يتم سقوطها"[320]. و"حين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولاً، وإن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها، فإذا أسقطها الرب إلهكم في أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة من أسلاب، فاغنموها لأنفسكم، وتمتعوا بغنائم أعدائكم التي وهبها الرب إلهكم لكم، هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم، التي ليست من مدن الأمم القاطنة هنا"[321].

وأما ثاني محاولة اغتيال فكانت بالسُّم، فلما فتحت خيبر (7 هـ/628م) أُهديت للرسول شاة فيها سُم. فقال الرسول: "اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود". فجمعوا له، فقال: "إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه؟". فقالوا: نعم، قال لهم النبي: "من أبوكم؟". قالوا: فلان، فقال: "كذبتم، بل أبوكم فلان". قالوا: صدقت، قال: "فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟". فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا، فقال لهم: "من أهل النار؟". قالوا: نكون فيها يسيرًا، ثم تخلفونا فيها، فقال الرسول: "اخسؤوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا". ثم قال: "هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟". فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: "هل جعلتم في هذه الشاة سُمًا؟". قالوا: نعم، قال: "ما حملكم على ذلك؟". قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريح، وإن كنت نبيًا لم يضرك[322]. وقد عفا الرسول عن تلك المرأة، "فلما جِيءَ بها فقيل: ألا نقتلها؟ قال: "لا"[323].

---

[320] بارتون، بروس. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. سفر التثنية، الإصحاح 20، فقرة:19-20، القاهرة: شركة ماستر ميديا، 1997م، ص392-393.

[321] بارتون. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. سفر التثنية، الإصحاح 20، فقرة: 10-15، ص392-393.

[322] البخاري. صحيح البخاري. أبواب الجزية والموادعة، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم، حديث رقم: 2998، ج3، ص 1156.

[323] المرجع السابق. كتاب الهبة وفضلها والحريض، باب قبول الهدية من المشركين، حديث رقم: 2423، ج7، ص27.

سحر اليهود للرسول (7 هـ/628م):

بيّن الواقدي السنة التي وقع فيها السحر، لما رجع الرسول من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم من سنة سبع[324]. أما مدة تأثر بالسحر فالإسماعيلي[325] يرى أن الرسول أقام أربعين ليلة، وعند الإمام أحمد ستة أشهر[326]، وقال السهيلي[327]: لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث الرسول فيها في السحر، حتى ظفرت به عند الزهري أنه لبث ستة أشهر فهو المعتمد!![328].

وكان الرسول سُحِر، **حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن!!**، وفي رواية أخرى قال: "سُحر رسول الله رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان الرسول يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله"[329]. قال الراوي: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا. فقال: "يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بالُ الرجل؟ قال: مطبوب – مسحور–. قال: ومَن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم –رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقًا–. قال: وفيمَ؟ قال: في مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ –المشاطة ما يخرج من الشعر إذا مشط والمشاقة من مشاقة الكتان–. قال: وأين؟ قال: في جُفٍّ –وعاء الطلع وغشاؤه –طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ تَحْتَ

---

[324] ابن حجر. فتح الباري. ج10، ص 226.

[325] أحمد بن إبراهيم (297–371 هـ/910–982م): من أهل جرجان، حافظ ومحدّث. الزركلي. الأعلام. ج1، ص 86.

[326] "**لبث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي**"، ابن حنبل. مسند الإمام أحمد. مسند باقي الأنصار، حديث السيدة عائشة، حديث رقم: 25079، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين. ج53، 188.

[327] أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (508–581هـ /1114–1185م): ولد في مالقة وعُميَ وعمره 17 سنة، نُسب إلى سُهيل من قرى مالقة. من كتبه الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، الزركلي. الأعلام. ج3، ص313.

[328] ابن حجر. فتح الباري. ج10، ص 226.

[329] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الطب، باب السحر، حديث رقم: 5321، ج18، ص 53.

رَاعُوفَةٍ – صخرة تجعل في أسفل البئر إذا حفرت تكون ثابتة هناك فإذا أرادوا تنقيتها جلس المنقي عليها– فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ. قالت: فأتى الرسول البئر حتى استخرجه. فقال: "هذه البئر التي أريتها، وكأن ماءها نقاعة الحناء، وكأن نخلها رؤوس الشياطين". قال: فَاسْتُخْرِجَ. قالت: فقلت: أفلا – تنشّرت–؟ فقال: "أما والله فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على أحد من الناس شرًا". فأمر بها فدفنت[330].

إن مسألة سحر الرسول من قِبل اليهود، كما ورد في الروايات بحيث أنه يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، بغض النظر عن تفسير الحالة التي كان الرسول عليها، سواء كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، أو أنه كان يظهر له من نشاطه ما ألفه من سابق عادته من الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فَتَر عن ذلك، كما هو شأن المعقود[331]. وبغض النظر عن المدة التي استمرت فيه هذه الحالة، فإن ذلك كله مدعاة لتصديق ما زعمه الكافرون في قوله تعالى: ﴿**وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحورًا**﴾[332]. وقد رد الله قولهم وأبطله، فقال تعالى: ﴿**انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً**﴾[333]. "لذا فالقرآن جاء بنفي السحر عن رسول الله، حيث نسب القول بإثباته إلى المشركين ووبخهم على ذلك"[334]. والسحر أصلاً خداع وتمويه[335]، وليس له حقيقة[336].

---

[330] المرجع السابق. كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر، حديث رقم: 5323، ج18، ص 57.

[331] ابن حجر. فتح الباري. ج10، ص 227.

[332] الفرقان: 8.

[333] الفرقان: 9.

[334] المراغي، أحمد مصطفى.تفسير المراغي. دار الفكر، ج10، ص268

[335] الرازي، محمد بن عمر. التفسير الكبير. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م، ج2، ص 242.

[336] قال القرطبي في تفسيره: ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة. وذهب عامة المعتزلة إلى أن السحر لا حقيقة له، وإنما هو تمويه وتخييل وإيهام لكون الشيء على غير ما هو به، وأنه ضرب من الخفة والشعوذة، وعلّق القرطبي بقوله: "وهذا لا حجة فيه؛ لأنا لا ننكر أن يكون التخييل وغيره من جملة السحر، ولكن ثبت وراء ذلك أمور جزم بها العقل وورد بها السمع". القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، 2003م، ج2، ص 46.

ثم على فرض صحة ما يقولون من سحر الرسول، فما كان ينبغي له أن يظل يعاني من هذا السحر تلك المدة، فقد ورد أن عنده ما يمنع من تأثير السحر؛ كالأذكار، كما ورد عنه أنه قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرّة ...كانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي"[337]. وأيضًا كالعجوة التي بفضلها لا يؤثر السحر عليه كما ورد عنه: "من اصطبح كل يوم تمرات عجوة لم يضره سُم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل"[338].

سياسة اغتيال الرسول لليهود

مارس الرسول سياسة الاغتيال وأمر بها في حق مَن يُحرّض على الإسلام من اليهود، ومن هؤلاء كان كعب بن الأشرف زعيم بني النضير، وقد ذكر ابن سعد أن قتله كان في ربيع الأول من السنة (3هـ/624م)[339]. حيث إنه كان يحرض المشركين على الرسول وأصحابه في شعره، ويهجو الرسول، فانطلق إليه خمسة نفر من الأنصار فيهم محمد بن مسلمة، ورجل يقال له أبو عبس. فأتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي؛ فطعنه أبو عبس في خاصرته –بعد حوار فيه خداع–، وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف، فقتلوه، ثم رجعوا. فأصبح اليهود مذعورين، فجاءوا إلى الرسول، فقالوا: قتل سيدنا غيلةً، فذكّرهم الرسول بصنيع كعبٍ، وما كان يحضّ على المسلمين، ويحرض في قتالهم ويؤذيهم، ثم دعاهم إلى أن يكتب بينه وبينهم صلحًا، وكان ذلك الكتاب مع علي رضوان الله عليه[340]. يعني هذا الكتاب الثاني[341].

---

[337] البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم: 3119، ج3، ص1198.

[338] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الطب، باب الدواء بالعجوة للسحر، حديث رقم: 5326، ج18، ص 63.

[339] ابن سعد. الطبقات الكبرى. ج2، ص32.

[340] البيهقي. دلائل النبوة. باب ما جاء في قتل كعب بن الأشرف، حديث رقم: 1058، ج3، ص 216. ابن سعد. غزوات الرسول وسراياه. ج1، ص 15.

[341] ابن القيم، محمد بن أبي بكر. أحكام أهل الذمة. تحقيق: صبحي الصالح، ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1994م، ج2، ص846.

وقد روي عن ابن إسحاق والواقدي أن الرسول لما أصبح من الليلة التي قُتل فيها ابن الأشرف (3 هـ/625م) قال: "من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه"، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة –رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم– فقتله[342].

هذه الرواية إضافة إلى ضعف سندها، خالفتها رواية أخرى ذكرها ابن هشام[343] في سبب إسلام حويصة متأخرة (5 هـ/627م) عن قصة كعب بن الأشرف، كما يزيد في ضعفها مخالفتها لأصل من أصول الشريعة، وهو تحريم الذمي المستأمن إلا بحقه من نقض العهد والميثاق.

وممن سبق هؤلاء أيضًا أبو عفك اليهودي، وكان شيخًا كبيرًا من بني عمرو بن عوف، يحرض على رسول الله ويقول الشعر، فقال رسول الله: "من لي بهذا الخبيث"؟ فخرج له الصحابي سالم بن عمير فقتله[344] في (شوال 2هـ/624م). ومن هؤلاء أيضًا أبو رافع سلّام بن أبي الحُقيق (5هـ/627م) من يهود بني النضير، فكان وهو بخيبر كثير التحريض على الإسلام، حتى إنه جعل لغطفان ومن حوله من قبائل مشركي العرب الجُعل العظيم إن هي قامت لحرب الرسول[345]. فقتله عبد الله بن عتيك بحيلة وخداع[346].

وقد وصلت سياسة الاغتيال إلى كل مَن حرّض على الإسلام ولو كانت امرأة، فقد أمر الرسول بقتل عصماء بنت مروان اليهودية(2هـ/624م) التي كانت تحرض على الرسول

---

[342] ابن إسحاق. السيرة النبوية. ج1، ص 112. ابن سعد. غزوات الرسول وسراياه. ج1، ص14.

[343] ابن هشام. السيرة النبوية. ج1، ص 242.

[344] ابن هشام. السيرة النبوية. ج6، ص 48. ابن كثير. السيرة النبوية. ج4، ص 432.

[345] ابن كثير. السيرة النبوية. ج3، ص 262. الصلابي. السيرة النبوية.. عرض وقائع وتحليل أحداث. ج8، ص 44.

[346] البخاري. صحيح البخاري. كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق، حديث رقم: 3813، ج4، ص1482.

وتعيب الإسلام، حيث قال الرسول: "مَن لي بها؟"[347] فقد أقدم عمير بن عدي الخطمي على قتلها، وقد أسلم نتيجة ذلك عدد من بني خطمة وجهر بالإسلام منهم من كان يستخفي[348].

وقد أورد الواقدي تفاصيل قصة قتلها حيث نذر عمير بن عدي حين بلغه تحريض عصماء على الرسول، فقال عمير: "اللهم إن لك عليّ نذرًا لئن رددت رسول الله إلى المدينة لأقتلنّها، ورسول الله يومئذٍ ببدر، فلما رجع الرسول إلى المدينة، جاءها عمير في جوف الليل، وحولها نفر من ولدها نيام منهم من ترضعه في صدرها، فجسّها بيده فوجد الصبي تُرضعه فنحّاه عنها، ثم وضع السيف على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم خرج الصبح يصلي مع الرسول، فلما انصرف الرسول نظر إلى عمير فقال: أقتلتَ بنت مروان؟ قال: نعم بأبي أنت يا رسول الله.

وخشِي عمير أن يكون افتأت –اجتهد دونما إذن– على الرسول بقتلها، فقال: هل عليّ في ذلك شيء يا رسول الله؟ قال: لا ينتطح فيها عنزان، ثم التفت الرسول إلى من حوله فقال: "إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله في الغيب فانظروا إلى عمير بن عدي"[349].

والحقيقة أن إسناد هذه القصة لا يثبت، لا سيما وأن الواقدي متهم بالوضع والكذب.

إن عقوبة الناقض للعهد بحسب الأعراف السائدة في فترة الرسول القتل، والرسول محمد في تعامله مع خصومه قد حكم بذلك، فعقوبة المعاهد الذي يحرض على الإسلام بالشعر أو التأليب القتل، إذ كان ذلك في زمانهم من أكثر أساليب التحريض، ويعد من أنواع التحريض الإعلامي الأمر الذي كان له الدور الأكبر في تشكيل الرأي العام، وتفعيل النفس،

---

[347] ابن عساكر، علي بن الحسن. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها. تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر، ج15، ص224. وإسناد الرواية باطل حيث مدارها على محمد بن الحجاج، وهو ليس بثقة.

[348] حميد، صالح. نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم. ط1، دار الوسيلة، 1418هـ، ج1، ص 295.

[349] الواقدي.المغازي. ج1، ص173.

وتأليب الجسد للقتال. أما عن طريقة قتل هؤلاء المحرضين فنلاحظ أنها كانت بطرق تمويهية، فقد قال الرسول بمشروعيتها وذلك في قوله: "الحرب خدعة"[350].

إن قتل كعب بن الأشرف وأمثاله هو إجراء قانوني، فقد كانوا يناصبون الإسلام العداء، وقد غاظهم انتصار المسلمين ببدر وساءهم الأمر، وكانوا يهجون الرسول ويحرضون قريشًا عليه[351].

أحاديث منسوبة إلى الرسول في ترتيب العلاقة مع اليهود

وردت روايات عند المحدثين –أحاديث– متعلقة بأهل الكتاب، تتطرق إلى صفاتهم، وآثار معاصيهم، وعقوباتهم، أو إلى كيفية التعامل معهم، وهذه الروايات عند دراستها لا بد من اتباع منهج علمي، من حيث تمييز هذه الروايات وتحقيقها، فهل هي عامة تؤخذ كأصل وقاعدة، أم خاصة متعلقة بظرف، ولا بد من مقارنة هذه الروايات بما قرره القرآن؟

فقد قرّر القرآن الكريم في موقفه من اليهود بقوله: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾[352]. ولكن هذا ليس على إطلاقه بل مستثنى منه بعض اليهود بيّن ذلك في قوله: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[353]. وقوله: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي**

[350] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة، حديث رقم: 2805، ج10، ص229.

[351] الفهداوي، خالد سليمان. الفقه السياسي للوثائق النبوية: المعاهدات– الأحلاف– الدبلوماسية الإسلامية. المعاهدات– الأحلاف– الدبلوماسية الإسلامية. ط1، عمان: دار عمار، 1998م، ص248.

[352] المائدة: 82.

[353] آل عمران: 75.

الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾[354]. كما أن ذلك الموقف له ظرفه التاريخي، فلا بد من مراعاة أثر الصراع في تكوينه.

وأفادت بعض الأحاديث أن اليهود هم العدو المستقبلي للمسلمين، "فلا تقوم الساعة حتى **يقاتل المسلمون اليهود**، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله؛ إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود"[355]. كما أن هنالك أحاديث تفيد أن الروم هم العدو المستقبلي للإسلام وأهله. وهذه الأحاديث تؤدي إلى نتائج خطيرة، منها أن الجهاد في سبيل الله –القتال– هو القاعدة العامة لفتح بلاد النصارى[356]!!

ومن غريب الأحاديث أن جعلوا مسألة نتن اللحوم وعفنها متعلقة بمعاصي بني إسرائيل: "لولا بنو إسرائيل لم يخْنز اللحم[357]، ولولا حوّاء لم تخُنْ أنثى زوجها الدهر"[358]!!

وحكمت بعض الأحاديث على اليهود ومعهم النصارى أنهم في النار إن لم يتبعوا دين الإسلام: "والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"[359]. ورواية أخرى: عن الرسول يقول

---

[354] آل عمران: 113–115.

[355] مسلم. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، حديث رقم: 5203، ج4، ص140.

[356] الغامدي، خميس. العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. السعودية: جامعة أم القرى، ص456.

[357] أي ينتن، والخنز؛ التغير والنتن. قيل: أصله أن بني إسرائيل ادخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك، فعوقبوا بذلك. وقال بعضهم: معناه لولا أن بني إسرائيل سنّوا ادخار اللحم حتى أنتن، لما ادخر فلم ينتن. ابن حجر. فتح الباري. ج6، ص367.

[358] البخاري. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء، باب خق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم: 3083، ج11، ص111.

[359] مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، حديث رقم: 218، ج1، ص 365.

فيها: "لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهوديًا أو نصرانيًا"[360]. وكذلك رواية: "إذا كان يوم القيامة، دفع الله عز وجل إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا، فيقول: هذا فكاكك من النار"[361].

واضح أن القرآن يخالف كل هذه الأحاديث فـ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[362]. وأكد على: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[363]. فاليهود والنصارى لا خوف عليهم بشروط ثلاثة: الإيمان بالله وحده، والإيمان باليوم الآخر، والعمل الصالح. وهذا ما قاله الرسول: "من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء"[364]. أما قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[365]. فمعناه أن من يطلب غير الإسلام–وهو التوحيد وإسلام الوجه للّه تعالى– دينًا، فلن يقبل منه قطعًا، وهو من الذين وقعوا في الخسران مطلقًا؛ لأنه سلك طريقًا سوى ما شرعه اللّه، وأضاع ما جبلت عليه الفطرة السليمة من توحيد اللّه[366]. وليس في الآية معنى أن الذي على غير دين محمد غير متقبّل منه. فالإسلام في الآية

---

[360] مسلم. صحيح مسلم. كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم: 4970، ج13، ص341.

[361] المرجع السابق. كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم: 4969، ج13، ص340.

[362] آل عمران: 19.

[363] البقرة: 62.

[364] المرجع السابق. كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، حديث رقم: 41، ج1، ص128.

[365] آل عمران: 85.

[366] الزحيلي، وهبة.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط2، دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418 هـ، ج3، ص285.

محمول على إسلام الوجه لله، على الوجه الذي يرضاه. وقد رضي الله من اليهود والنصارى أن يكونوا على ملتهم بشرط أن يقيموها كما أراد: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾[367].

يقول القرضاوي: "كفر أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لا يعني أنهم ملاحدة منكرون للألوهية، فليس هو كفر إلحاد وجحود بالله تعالى ولقائه ووحيه، ولكنه كفر تحريف وتبديل للدين، وتشويه لعقيدة الألوهية والنبوة[368].

نظّرت بعض الآثار لفكرة أن الإسلام هو الأعلى من حيث الإلزام بأحكامه فعن ابن عباس قال: "إن الله عز وجل بعث محمدًا بالحق ليظهره على الدين كله فديننا خير الديانات، وملتنا فوق الملل، ورجالنا فوق نسائهم، ولا يكون رجالهم فوق نسائنا"[369]. ورواية أخرى: "لا نرث أهل الكتاب ولا يرثونا، إلا أن يرث الرجل عبده أو أمَته، وتحل لنا نساؤهم ولا تحل لهم نساؤنا[370].

إن القرآن الكريم صحيح يؤكد خيرية أمة محمد، ودين الإسلام: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[371]. و"الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه"[372]. ولا يدخل في ذلك معنى إلزام اليهود أو النصارى أو غيرهم بأحكام الدين، حيث قرر القرآن أن: ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾[373].

---

[367] المائدة: 68.

[368] القرضاوي، يوسف. موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م، ص6.

[369] البيهقي. السنن الكبرى. كتاب النكاح، باب ما جاء في تحريم حرائر أهل الشرك دون أهل الكتاب وتحريم المؤمنات على الكفار، حديث رقم: 13764، ج7، ص 172.

[370] الدارقطني، علي بن عمر. سنن الدارقطني. تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، بيروت: دار المعرفة، 1966م، كتاب الفرائض والسير وغير ذلك، حديث رقم: 24، ج4، ص 75.

[371] آل عمران: 110.

[372] البخاري. صحيح البخاري. باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، حديث رقم: 79، ج5، 275.

[373] البقرة: 256.

وقد وردت أحاديث اعتبرت قواعد وأصول في التعامل مع اليهود والنصارى منها: "لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه"[374]. و"إذا لقيتم اليهود في الطريق فاضطروهم إلى أضيقها، ولا تبدؤوهم بالسلام[375].

ولكن الحقيقة أن هذه الأحاديث متعلقة في اليهود والنصارى المحاربين، إذ الأصل معاملة الآخرين بحسن واحترام، فقد وردت أحاديث تدل على هذا: "أن الرسول مرّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود والمشركين عبدة الأوثان فسلّم عليهم"[376]. بل إن الرسول كان يقابل سيئتهم بالحسنة، منها أنه دخل يهودي على الرسول فقال: السامّ عليك يا محمد، فقال الرسول: "وعليك"[377]. فالرسول لا يمكن أن يكون أصل معاملته مع أهل الكتاب بأن لا يبدأهم بالسلام، وأن يضطرهم إلى أضيق الطرق. ومن مظاهر احترام الرسول للإنسان بغض النظر عن ديانته: أن الرسول مرّت به جنازة فقام. فقيل له: إنها جنازة يهودي؟! فقال: "أليست نفسًا"[378]. وقال: "من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير

---

[374] مسلم. صحيح مسلم. كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، حديث رقم: 4030، ج11، ص 135. ابن الأثير. جامع الأصول في أحاديث الرسول. حديث رقم: 4870، ج6، ص613. الخطيب، محمد بن عبد الله. مشكاة المصابيح. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، ج3، ص2، قال الألباني: صحيح.

[375] ابن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: 9724، ج2، ص 444، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[376] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الاستئذان، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، حديث رقم: 5784، ج19، ص 280.

[377] ابن خزيمة، محمد بن إسحاق.صحيح ابن خزيمة. تحقيق : د. محمد مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي، 1970م، كتاب الصلاة، باب ذكر حسد اليهود المؤمنين على تأمينهم، حديث رقم: 1585، ج3، ص 38. قال الأعظمي: إسناده صحيح.

[378] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، حديث رقم:1229، ج5، ص72.

طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة"[379]. وهذا هو القانون العام الذي يقرر أصل معاملة المسلم مع أهل الكتاب.

ومن أسوأ الأحكام الفقهية كلام بعض علماء الحنفية أنه يجوز الاستعانة بأهل الذمة لقتال المشركين كما الاستعانة بالكلب!![380]، وقد ألّف الدكالي[381] كتابًا عنونه "**المذمة في استعمال أهل الذمة**". لكن الإسلام لا يتوانى في سعيه لإقامة علاقات طيبة مع الآخرين لتحقيق التعاون البنّاء في سبيل الخير والعدل[382].

علاقة الرسول مع النصارى

لم تكن النصرانية قوية في المدينة، وجاليتها لم تكن كثيرة العدد فيها. غير أن هذا لا يعني عدم وجود النصارى في هذا الموضع الزراعي المهم. كما كان في مكة رقيق وموالي يقومون بخدمة ساداتهم، كذلك كان في المدينة نفر منهم أيضًا يقومون بمختلف الأعمال التي يعهد أصحابهم إليهم القيام بها. ولا بد أن تكون لهذه الطبقة من البشر مكانة في هذه المدينة وفي أي موضع آخر من جزيرة العرب. وذكر أن النصارى كانوا يسكنون في يثرب في موضع يقال له: سوق النبط[383].

---

[379] أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الخراج، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، حديث رقم: 3054، ج3، ص136. قال الألباني: صحيح.

[380] السرخسي، محمد. المبسوط. بيروت: دار المعرفة، 1993م، ج10، ص21.

[381] الدكالي: (720 – 763 هـ): هو محمد بن علي بن عبد الواحد الدكالي ثم المصري، أبو أمامة، ويقال له ابن النقاش: واعظ، مفسر، فقيه. الزركلي. الأعلام. ج6، ص 286.

[382] الزحيلي، وهبة. الفقه الإسلامي وأدلته. ط4، دمشق: دار الفكر، 1422هـ، ج8، ص6421.

[383] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج12، ص 178.

نرى القرآن الكريم يتحدث عن عقائد النصارى مبيناً أنهم كانوا يردّدون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن منهم من يقولون إن المسيح هو ابن الله، كما أن منهم من كان يعبد مريم مع الله والمسيح. بل لقد اتخذوا من أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله يتبعون ما أدخلوه لهم في الدين من عقائد وعبادات وشرائع ما أنزل الله بها من سلطان: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**﴾[384]. كما شملهم مع اليهود في تحريفهم لكتبهم. وأمرهم بالتحاكم إلى الإنجيل في قوله: ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[385]. وقال: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾[386].

كانت مجمل علاقات الرسول بالنصارى سلمية لقلة احتكاكه بهم، وكانت معظمها مراسلات ومعاهدات، وقد كانت تهدف تلك الرسائل إلى محاولة انتزاع اعتراف دولي بمحمد ودولته، أو على الأقل كسب حياد القوى الكبرى من جهة. ومحاولة لقطع الطريق على مكة لطلب المساعدة من الخارج من جهة أخرى[387].

ولما استطاع الرسول كسب النجاشي في إيواء المهاجرين إبان الفترة المكية، فقد توثقت الصلات بينهما، فقد حاولت قريش بعد بدر (2هـ/624م) إغراء النجاشي لتسليمهم اللاجئين، ليقوموا بمساومة الرسول في أسرى بدر، غير أن النجاشي رفض طلبهم[388].

---

[384] التوبة: 31.

[385] المائدة: 47.

[386] المائدة: 68.

[387] فازيو، نبيل. الرسول المُتخيَّل قراءة نقدية في صورة النبي في الاستشراق. ص 204.

[388] إيرفرينج. محمد وخلفاؤه. ص235.

ومما ذكره المؤرخون أن وفدًا من نصارى نجران وفِد على المدينة لمقابلة الرسول، وكان ذلك سنة (9هـ/631م)، وكان فيهم ثلاثة رهبان من علمائهم, وقد استقبلهم الرسول ودارت بينهم مناظرة حول صفة المسيح عيسى ابن مريم، فهم يرون أنه ابن الله، والرسول يؤكد بشرية المسيح، فما زال الجدال بينهم حتى انتهوا إلى المباهلة؛ وهي الدعاء إلى الله برفع الأكف بأن يُهلك المُبطل منهما ويُنجي المُحق. فأحضر الرسول عليًا وابنته فاطمة والحسن والحسين ليدعو، لكن الرهبان امتنعوا، وقد ورد ذكر ذلك في قوله تعالى: ﴿**فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾[389].

وقد بالغ المؤرخون في وصف تلك الحادثة بأن ذكروا أن الرهبان قالوا لو أقسمت هذه الوجوه على الله أن يزيل الجبال لأزالها! بل وتصف أكبر نصارى نجران علمًا ومعرفة بأنه مقتنع بما يقول به محمد[390]. وتفيد الرواية أن اللقاء انتهى بمصالحة أهل نجران على الجزية، وبعث أبي عبيدة بن الجراح معهم بعدما سألوا الرسول أن يبعث معهم رجلاً أمينًا من أصحابه[391].

لكن يبدو أن الرسول تواصل مع النصارى بشكل عام ودعاهم إلى الإسلام عبر الرسائل، فقد كتب الرسول لأهل نجران أمانًا شمل سلامة كنائسهم وعدم التدخل في شؤونهم وعباداتهم، وأعطاهم على ذلك ذمة الله ورسوله، يقول ابن سعد: "وكتب رسول الله لأسقف بني الحارث بن كعب وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم: "**أن لهم ما تحت أيديهم**

---

[389] آل عمران: 61.

[390] ابن هشام. السيرة النبوية. ج3، ص113. ابن سعد. الطبقات الكبرى. ج1، ص357.

[391] البخاري. صحيح البخاري. كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، حديث رقم: 4119. مسلم. صحيح مسلم. كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سيدنا أبي عبيدة بن الجراح، حيث رقم: 2419.

من قليل وكثير، من بِيَعهم وصَلواتهم ورهبانهم، وجوار الله ورسوله، لا يغير أسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا كاهن عن كهانته"[392]. وذكر ابن القيم أن الرسول عاهد أهل نجران على ألفي حُلة"؛ وفيه: "لا يُهدم لهم بِيعة، ولا يُخرج لهم قِسّ، ولا يُفتنون عن دينهم ما لم يحدثوا حدثًا، أو يأكلوا الربا، فأبقى كنائسهم عليهم لما كانت البلد لهم، وجعل الأمان فيها تبعًا لأمانهم على أنفسهم، فإذا زال شرط الأمان على أنفسهم بإحداث الحدث، وأكل الربا، زال عن رقاب كنائسهم، كما زال عن رقابهم"[393].

وقد راسل الرسول المقوقس النصراني (6هـ/626م)، حيث جاء في الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فإني أدعوك بداعية الإسلام أسلِم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط، ﴿**ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾[394][395].

لم تثبت رسالة النبي للمقوقس من طرق صحيحة، ولا يعني ذلك نفي إرسال الكتاب إليه، كما أن ذلك لا يعني الطعن بصحة النصوص من الناحية التاريخية فربما تكون صحيحة من حيث الشكل والمضمون[396].

وكان رد المقوقس: "بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام، أما بعد؛ فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، وما تدعو إليه، وقد علمت أن

---

[392] ابن سعد. الطبقات الكبرى. ج1، ص266. ابن زنجويه، حميد. كتاب الأموال. تحقيق: شاكر فياض، الرياض: مركز فيصل للبحوث، 1986م، ج2، ص449.

[393] ابن القيم. أحكام أهل الذمة. ج2، ص698.

[394] آل عمران: 64.

[395] ابن سيد الناس. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. ج2، ص 331.

[396] العمري. السيرة النبوية الصحيحة. ج2، ص 459.

نبينا قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشأم، وقد أكرمت رسولك، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وكسوة، وقد أهديت لك بغلة تركبها، والسلام"[397]. وقد رُوي أن الرسول كان يطأ مارية بملك اليمين[398].

كما أنه راسل هرقل الروماني النصراني(6هـ/626م)، وجاء في الكتاب: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلَم، يُؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الْأَرِيسِيِّينَ – أتباع آريوس– و"**يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**"[399].

وجاء في كتاب هرقل للرسول: "إلى أحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بشّر به عيسى من قيصر ملك الروم، أنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، نجدك عندنا في الإنجيل، بشرنا بك عيسى بن مريم، وإني دعوت الروم إلى أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيرًا لهم، ولوددتُ أني عندك فأخدمك وأغسل قدميك"[400]. وورد في البخاري قصة أبي سفيان لما وفد على هرقل، فقال هرقل بعد طرح تساؤلات حول دعوة محمد: "فإن كان ما تقول حقًا فسيملك موضع قدمي هاتيْن، وقد كنت أعلم

---

[397] الزبيري، الزبير بن بكار. المنتخب من كتاب أزواج النبي. تحقيق: سكينة الشهابي، ط1، بيروت: الرسالة: 1403هـ، ج1، ص 19.

[398] أيوب، سعيد. زوجات النبي (ص).. قراءة في تراجم أمهات المؤمنين في حركة الدعوة. ط1، بيروت: دار الهادي، 1997م، ج1، ص 114.

[399] البخاري. صحيح البخاري. باب بدء الوحي، حديث رقم: 6، ج1، ص8. ابن كثير. السيرة النبوية. ج3، ص 501. اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي. ج1، ص 135.

[400] اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي. ج1، ص135.

أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، ولو أرجو أن أخلص إليه لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ ولو كنت عنده لغسلت قدميه"[401].

لكن واضح كما قلنا سابقًا إن مثل هذه الرواية الإسلامية، تأتي في سياق إثبات نبوة محمد، والتأكيد على وجود البشارة بنبوة محمد في كتب اليهود، لكن الحقيقة أنه لا وجود لدليل قاطع على ثبوت نبوة محمد في كتب التوراة الحالية.

وحينما غزا الرسول غزوة تبوك (رجب 9هـ/631م)، وهو يريد الروم ونصارى العرب بالشام، حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أذرح ووفد أيله، صالحهم رسول الله على الجزية[402]. "**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل أذرح، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد صلى الله عليه وسلم، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة**"[403].

وكانت **دومة، وأيلة، وتيماء،** قد خافوا الرسول لما رأوا العرب قد أسلمت. وقدم يُحنة ابن رؤبة على الرسول وكان ملك أيلة، وأشفقوا أن يبعث إليهم الرسول كما بعث إلى أكيدر. وأقبل معه أهل جرباء وأذرح، فأتوه فصالحهم فقطع عليهم الجزية جزية معلومة. وكتب لهم كتابًا: "**بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحنة بن رؤبة وأهل أيلة، لسفنهم وسائرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة محمد رسول الله، ولمن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر. ومن أحدث حدثًا فإنه لا يحول ماله دون نفسه.**

---

[401] البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الوحي، حديث رقم: 6، ج1، ص 8.

[402] الحميدي. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. حديث رقم: 1572، 2002م، ج2، ص261.

[403] الواقدي. المغازي. ج3، ص 1032. البيهقي. دلائل النبوة. باب ذكر كتابه ليُحنة ابن رؤبة وكتابه لأهل جرباء وأذرح وهو بتبوك، حديث رقم: 2001، ج5، ص 329.

وإنه طيب لمن أخذه من الناس وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يريدونه ولا طريقًا يريدونه من بر أو بحر. هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله، ووضع رسول الله الجزية على أهل أيلة؛ ثلاثمائة دينار كل سنة وكانوا ثلاثمائة رجل. وكتب لأهل مقنا أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم"[404].

يسجل المؤرخون موقفًا وحيدًا سلبيًا لأحد الرهبان تجاه دين محمد، وهو أبو عامر بن صيفي المعروف بالراهب؛ لأنه كان قد ترهّب في الجاهلية ولبس المسوح، ويرى المؤرخ مونتغمري أنه كان من الحنيفيين[405]. قدم المدينة ورأى الرسول، وسأله: ما هذا الذي جئت به؟ فقال الرسول: "جئت بالحنيفية دين إبراهيم"، قال: فأنا عليها، فقال الرسول: "إنك لست عليها". قال: بلى. قال: إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها. قال: "ما فعلت، ولكني جئت بها بيضاء نقية". قال: "الكاذب أماته الله طريدًا غريبًا وحيدًا". وقد سماه الرسول الفاسق[406].

فذهب مغاضبًا للرسول كما تقول الروايات، متوجهًا إلى قيصر، ليحمله على توجيه جيش إلى المدينة للقضاء على الإسلام، فقد قال أبو عامر لأناس من الأنصار: "ابنوا مسجدكم، واستعدُّوا بما استطعتم من قوة ومن سلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم، فأخرج محمدًا وأصحابه"[407].

كان صراع محمد مع النصرانية أقل درامية من الصراع مع اليهود. فقد كان الرسول متعاطفًا إلى حد كبير مع النصارى وينظر إليهم كمناصرين له ولدعوته، كما في موقف النجاشي، ولقلة احتكاكه مع النصارى نجد أنهم أصبحوا خلف الستار، ليكون الجدال أكثر مع

---

[404] الواقدي. المغازي. ج1، ص 1031.

[405] وات، مونتغمري. محمد في مكة. ص257.

[406] ابن هشام. السيرة النبوية. ج3، ص 128.

[407] الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن. ج14، ص 470.

اليهود في المدينة، وحتى لما خضعت القبائل العربية الوثنية بعد فتح مكة (8هـ/630م) واعتنقوا الإسلام لم يكن النصارى مستعدين لذلك. واضطروا لتقديم تنازلات، ومنذ ذلك الحين تمت معاملتهم بأسلوب مشابه لليهود، فسُمح لهم بالعبادة ودفع الجزية.

خاتمة

شكّل مجتمع المدينة خليطًا من المعتقدات ومزيجًا من الديانات، وقد أثّر ذلك بطبيعة الحال في التصوّرات والسلوكيات. ويشير العرض إلى أن المجتمع المدني قد دخلت فيه موجات التهويد بحكم التأثر بالجوار والاختلاط، وكان الخطاب القرآني السائد: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[408]. هكذا كانت الطريقة التي سلكها المسلمون وعلى رأسهم محمد في ترتيب العلاقة بينه وبين أهل الكتاب خلال المرحلة المكية وحتى بدايات المرحلة المدنية، لكن سرعان ما برز تغيّر في موقف النبي من اليهود، وقد برز أيضًا خصوم جدد للدعوة المحمدية داخل يثرب عرفوا بالمنافقين، إضافة لمشركي مكة.

بعد استقرار المسلمين في المدينة وإعداد بعض الترتيبات انتصر دين الإسلام على الوثنية العربية، ومنذ البدء كانت لهم صلة وثيقة باليهود والنصارى، ومن ثم اضطر إلى الدخول في جدال معهما، وكنتاج لمسيرة طويلة استطاع محمد أن يُرسي دينًا جديدًا، وأن يحدد موقفه تجاه اليهود نظريًا وتطبيقًا، ففي القرآن أساليب متنوعة. أما في الواقع فقد حدثت بعض التغيرات بتأثير الفكر المعاصر[409].

---

[408] الفرقان: 46.

[409] بوسه. أسس الحوار في القرآن الكريم. ص29.

لقد تم الاعتراف رسميًا بالشرائع المطبوعة بطابع الوحي، على الرغم من أن العلاقات المتبادلة بين العالم النصراني والإسلامي طبعت بطابع الصراع العسكري، ونظر المسلمون إلى الحرب ضد الكفار على أنها واجب مقدس (جهاد). وروّج النصارى بأسلوب مشابه للصراع ضد السلطات الإسلامية على أنه مطلب ديني.

الفصل الرابع

مواقف الخلفاء الراشدين من غير المسلمين

- موقف أبي بكر الصديق من غير المسلمين

- موقف عمر بن الخطاب من غير المسلمين

- موقف عثمان بن عفان من غير المسلمين

- موقف علي بن أبي طالب من غير المسلمين

موقف أبي بكر الصديق من غير المسلمين

بعد تولي أبي بكر منصب الزعامة السياسية(11-13هـ/632-634م)، واستلامه المهام التي كان يقوم بها الرسول، ومن ضمنها جمع الزكاة من القبائل التي انضوت تحت نظام الإسلام، تعرض أبو بكر لحركة معارضة شديدة من معظم القبائل العربية، إذ امتنعت بعض القبائل عن تأدية الزكاة تعبيرًا عن رفضها للتبعية الاقتصادية، وقد رأت بعض القبائل العربية في الزكاة إتاوة تدفعها لقريش[410]. ورغبت بعض القبائل العربية الخروج على سلطة المدينة السياسية والدينية، وحاولت تكوين كيانات سياسية يتزعمها أدعياء نبوة[411]. فلم تكن تلك الحركة ردة دينية بحتة إذ لم تأتِ بدين جديد بدليل أن بعض القبائل التي ارتدت كانت تؤدي فريضة الصلاة[412].

لم يكن المرتدون على مستوى واحد فقد كانوا صنفين: صنفاً ارتدوا عن الدين ونابذوا الملة وعادوا إلى الكفر. وهذه الفرقة طائفتان: "إحداهما أصحاب مسيلمة[413] من بني حنيفة وغيرهم الذين صدقوه على دعواه في النبوة. والطائفة الأخرى: ارتدوا عن الدين وأنكروا الشرائع، وتركوا الصلاة والزكاة وغيرها من أمور الدين، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية. والصنف الآخر هم الذين فرّقوا بين الصلاة والزكاة، فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام"[414].

---

[410] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج3، ص259.

[411] الواقدي، محمد بن عمر. الردة. عمان: دار الفرقان، ص49-50.

[412] القط، مواهب. المؤرخون العرب وحركة الردة حتى القرن الرابع الهجري دراسة تاريخية منهجية. نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 2009م، ص 57.

[413] مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ، من المعمرين. وفى الأمثال: (أكذب من مسيلمة). وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعرف برحمان اليمامة. الزركلي. الأعلام. ج7، ص 226.

[414] النووي، يحيى بن شرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ، ج1، ص 202.

وقد سجل المؤرخون مواقف القبائل التي رفضت دفع الزكاة على اعتبار أنها أتاوة. فقد رصد الواقدي موقف بني سعد الذين رفضوا إرسال صدقاتهم إلى المدينة، بعد تولي أبي بكر الصديق الخلافة، وطالبوا الزبرقان بن بدر عامل الرسول على صدقاتهم بأن يردها إليهم، إلا أنه رفض ذلك رفضًا مطلقًا[415].

وسجل الطبري موقف قرة بن هبيرة[416] من بني عامر ومقالته لعمرو بن العاص عندما نزل عليه بعد ارتدادها: "إن العرب لا تطيب لكم نفسًا بالإتاوة، فإن أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع"[417]. ونقل الواقدي وابن أعثم قولاً آخر: "والله لئن تجافى أبو بكر خليفة رسول الله عن زكاة أموالنا، وإلا فما له في رقابنا طاعة"[418]. ومما نقل أيضًا تحريض **طليحة بن خويلد**[419] قومه بني أسد على مواجهة جيش خالد، كما طالبهم أن يمتنعوا عن دفع الزكاة كما منعوها في جاهليتهم، فقال: "فانظروا أن تمنعوا القوم أموالكم كما منعتموها في جاهليتكم"[420].

تعتبر قبائل بني حنيفة وتميم وغطفان وفزارة من القبائل التي رفضت سيطرة القريشيين عليهم. فقد أعلن زعيم قبيلة فزارة عيينة بن حصن[421] تأييده لأسد وغطفان ضد

---

[415] الواقدي. الردة. ص68.

[416] قرة بن هبيرة بن سلمة، له صحبة. انظر: ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج5، ص437.

[417] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج3، ص259.

[418] الواقدي. الردة. ص87.

[419] طليحة بن خويلد بن نوفل الأسدي، أسلم ثم ارتد وأخوه سلمة بعد ذلك، وادعى طليحة النبوة، ثم وهرب طليحة إلى الشام حينما قابله خالد بن الوليد، ثم أحرم بالحج، ورجع إلى الإسلام، وشهد القادسية ونهاوند مع المسلمين. ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج3، ص 542.

[420] الواقدي. الردة. ص97. ابن أعثم. الفتوح. بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م. ج1، ص23.

[421] عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن فزارة الفزاري أبو مالك، يُقال كان اسمه حذيفة فلقب عُيْينة؛ لأنه كان أصابته شجّة فجحظت عيناه، له صحبة، وكان من المؤلفة، ولم يصح له رواية، أسلم قبل الفتح وشهدها، وشهد حُنيناً والطائف، كان ممن ارتد في عهد أبي بكر ومال إلى طلحة فبايعه ثم عاد إلى الإسلام، وكان فيه جفاء سكان البوادي. ابن حجر. الإصابة في تمييز الصحابة. ج4، ص 767.

سلطة المدينة، فقال: "إني لمجدّد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة، والله لئن نتبع نبيًا من الحلفيْن أحب إلينا من أن نتبع نبيًا من قريش، وقد مات محمد وبقي طليحة"[422].

كان موقف الصديق من وفد بزاخة –أسد وغطفان– لما قدموا إليه يسألونه الصلح، تخييرهم بين حربٍ مُجلية أو خطةٍ مخزية[423]. فقالوا: يا خليفة رسول الله أما الحرب المجلية[424] فقد عرفناها، فما الخطة المخزية؟ قال: تؤخذ منكم الحلقة والكُرَاع[425]، وتؤدون ما أصبتم منا، ولا نؤدي ما أصبنا منكم، وتشهدون أن قتلانا في الجنة، وأن قتلاكم في النار، وتَدون قتلانا، ولا نَدي قتلاكم"[426].

لذا فقد رأى الخليفة أبو بكر الصديق تمرد بعض القبائل على سلطة المدينة، وامتناع بعض القبائل عن دفع الزكاة عملية خروج على مركز السلطة، خصوصًا أن هذه الحركة قد استعارت بعض الشعارات الدينية واستعانت بالعصبيات القبلية، فكان لا بد من التعامل مع هذه الحالة بحزم وحكمة، فأعلن سياسته تجاه ذلك بقوله المشهور: "والله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَنَاقًا[427]وفي رواية عقالاً[428] كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها"[429]. وتتضح سياسته تجاه تلك الأحداث من خلال رسائله التي بعث بها، ومن أشهرها ما أورده الطبري.

---

[422] الواقدي. الردة. ص68.

[423] ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق. ج30، ص 319. ابن كثير. البداية والنهاية. ج6، ص 351.

[424] كانت العرب تقول: إمَّا سِلْم مخزية وإما حرب مُجْلية. الدينوري، عبد الله بن مسلم. أدب الكاتب. تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، ط4، مصر: المكتبة التجارية، 1963م، ج1، ص 424.

[425] الكُراع: السلاح. ابن منظور. لسان العرب. ج8، ص308.

[426] ابن كثير. البداية والنهاية. ج6، ص 351.

[427] العَنَاق: الأنثى من أولاد المعز. ابن منظور. لسان العرب. ج10، ص 271.

[428] العِقال هو الحبل الذي يربط به البعير. المرجع السابق. ج10، ص 458.

[429] ابن المطهر. البدء والتاريخ. ج1، ص304. ابن كثير. البداية والنهاية. ج6، ص343.

"بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى... وإني بعثت إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقبل من أحد إلا الإيمان بالله، ولا يقتله حتى يدعوه إلى الله عز وجل، فإن أجاب وأقرّ وعمل صالحًا قُبل منه، وأعانه عليه وإن أبى حاربه عليه حتى يفيئ إلى أمر الله، ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه، وأن يحرقهم بالنار، وأن يقتلهم كل قتلة، وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد غير الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان فإذا أذن المسلمون فكفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا فسلوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقروا حمل منهم على ما ينبغي لهم"[430].

يبدو أن موقف الخليفة الصديق من المرتدين كان حازمًا، وكانت سياسته صارمة، إذ غُلب على خطابه المبالغة فقد صرّح على قتال من منع دفع "حبْل" كان يُدفع للرسول، ومعلوم أنه لا يجوز القتال على الحبل الذي يُعقل به البعير، لذا فقد قال كثير من المحققين: أن مراد الخليفة الصديق بالعِقال؛ هو زكاة عام، وليس الحبل الذي يعقل به البعير، فجاء خطابه على سبيل المبالغة[431].

---

[430] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص 258. ابن كثير. البداية والنهاية. ج6، ص 348.

[431] الزحيلي، وهبة. الفقه الإسلامي وأدلّته الشّامل للأدلّة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها. دمشق: دار الفكر، ج3، ص 158.

ويبدو أن صيغة الكتاب واحدة[432]، والكتب عديدة بدليل ما ورد في رواية الطبري، "وإني بعثتُ إليكم فلانًا"، فقد تُرك اسم المبعوث لتعدد المبعوث إليهم، ونلاحظ أن الكتاب يهدف إلى معرفة وتمييز المسلمين من غيرهم، فقد اعتبر الأذان علامة الإسلام، فإن أذّنوا فينبغي الكف عنهم، وليس في الكتاب إلزام بجمع الزكاة. ويفيد الكتاب أن القبائل التي لا تقيم الصلاة وجب عليهم العودة إلى الإسلام فإن أبوا وجب قتالهم. إذًا اعتبر الخليفة الصديق في كتابه القبائل التي لا تقيم الصلاة مرتدة عن الإسلام، فأمر بتحريقهم بالنار، وأجاز سبي ذراريهم وأموالهم. وقد أورد المؤرخون قصة تحريق خالد بن الوليد لقوم من بُزاخة[433] قتلوا بعض المسلمين "فمنهم من **حرّقه بالنار**، ومنهم من رَضَخه بالحجارة، ومنهم من رَمَى به من شواهق الجبال، كل هذا ليعتبر بهم من يسمع بخبرهم من مرتدة العرب"[434]. وورد في بعض كتب الصديق إلى خالد في حق أهل اليمامة أن: "هوّل فيهم القتل، واحرقهم بالنار، وإياك أن تخالف أمري، والسَّلام عليك"[435]. لكن بخصوص عقوبة التحريق فقد أورد الطبري رواية تفيد ندم الخليفة الصديق على استخدامها حيث قال: "ووددتُ أني لم أكن حرقت الفجاءة[436] السلمي، وأني كنت قتلته سريحًا –سريعًا– أو خليته نجيحًا"[437]. وقد كانت هذه العقوبة بسبب غدر

---

[432] كانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدة كتابًا واحدًا. الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص 257.

[433] بزاخة: ماء لقبيلة طيء بأرض نجد، الحموي. معجم البلدان. ج1، ص408.

[434] ابن كثير. البداية والنهاية. ج6، ص 351.

[435] الحِميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس، ط2، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة 1980م، ج1، ص 620.

436 هو إياس بن عبدالله بن عبد ياليل بن عمير بن خُفَاف من بني سُليم. انظر: الزركلي.الأعلام. ج2، ص 33.

[437] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص 354.

الفجاءة[438]، أو لأنه قد يكون ارتكب مع ضحاياه من المسلمين جريمة الإحراق مرة أو مرات[439].

أما بخصوص سبي النساء فقد ثبت في كتاب الصديق ذلك، وطبق القادة الميدانيون تلك السياسة، فقد سُبيت نساء كِندة[440]، ودارين[441]، واليمامة بعد معركة الحديقة[442].

وأما التزوج من المسبيات فليس على خلاف تقاليد العرب[443]، فقد كان يحصل كثيرًا في حياة العرب قبل الإسلام إثر حروبهم وانتصاراتهم على أعدائهم أن يتزوجوا من السبايا وكانوا يفخرون بذلك[444]. وقد أوقف الخليفة الفاروق سبايا العرب، فقال: "إنه ليقبح بالعرب أن يملك بعضهم بعضًا وقد وسع الله وفتح الأعاجم"[445].

مما سبق يتبين أن قتال الصديق للمرتدين–عُرفوا بذلك في كتب المؤرخين– ليس لمجرد خروجهم من الدين، ولامتناعهم عن دفع الزكاة، إنما كان بسبب خروجهم على سياسته ومحاولة تكوين كيانات مستقلة عنه، ومحاربتهم ومعاداتهم لسياسته. فهي معركة سياسية بالدرجة الأولى، وقد وُظِّفت بعض الروايات بغرض إضفاء الشرعية على هذه السياسة. كحديث الرسول: "أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني

---

[438] انظر سبب تحريقه: ابن كثير. البداية والنهاية. ج6، ص 352.

[439] العتوم، علي. حركة الردة. ط2، عمّان: مكتبة الرسالة،1997م، ص185.

[440] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص 304.

[441] دارين: فرضة بالبحرين. الحموي. معجم البلدان. ج2، ص 432. الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص 289.

[442] ابن كثير. البداية والنهاية. ج6، ص 358.

[443] هيكل، محمد حسين. أبو بكر الصديق. مصر: دار المعارف،1971م، ص140.

[444] ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. العقد الفريد. تحقيق: عبد المجيد الرتحيني، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1999م، ج2، ص 440.

[445] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص 305.

ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله"[446]. وقوله: "أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله"[447].

الحقيقة أن العقوبات المختلفة للمرتدين تؤكد عدم وجود نص في كيفية التعامل معهم وأن ذلك متروك للحاكم المسلم يتم تقديره وفقًا للظروف، ويبدو أن فترة أبي بكر اقتضت مثل هذا التعامل العنيف بسبب خطورتهم على الإسلام وكيانه، فقد كان المسلمون كما يروي الطبري: "كالغنم في الليلة الممطرة"[448].

إن موقف المسلمين لم يكن موحدًا فقد تباينت آراء الصحابة في كيفية التعامل وهذا دليل آخر على أن القضية سياسية أكثر منها دينية.

موقف عمر بن الخطاب من غير المسلمين

سجلت فترة حكم عمر بن الخطاب (13-23هـ/634-643م) أحداثًا عديدة مع أهل الكتاب، لا سيما أن مدة خلافته استمرت عشر سنين، حيث تزاحمت الأحداث في فترته، لذا فمواقف عمر من أهل الكتاب عديدة، من حيث إجلاء بعض أهل الكتاب، والعهدة والشروط العمرية، وضمان الحرية الدينية لهم، وقضية الزواج من الكتابيات، وصور من عدله وسماحته مع أهل الكتاب.

إجلاء أهل الكتاب: إن ما ذهب إليه كثير من المؤرخين من إجلاء أهل الكتاب بأمر الخليفة عمر عن جزيرة العرب ثم بقية الخلفاء الذين ساروا على حكمه: "لا يترك بجزيرة

---

[446] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم: 1312، ج 5، ص 205.

[447] المرجع السابق. كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، حديث رقم: 24، ج 1، ص42.

[448] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص83.

العرب دينان"[449] فيه مبالغة. والظاهر أن الإجلاء كان قاصرًا على الموضع التي تعرضت فيها جاليات أهل الكتاب فيها للإسلام بسوء. فطبق على جاليات يهود يثرب ومن كان يسكن إلى الشمال منهم، لوقوفهم موقفًا معاديًا شديدًا من الإسلام، ولعملهم في إثارة الفتن على المسلمين. فكان ذلك الإجلاء خاصًّا بالجاليات اليهودية، أما النصارى فلم تكن لهم جاليات هناك، فلم يقع إجلاء لهم فيها[450].

ومما يُذكر أن إجلاء عمر لليهود كان تنفيذًا لوصية الرسول؛ حيث خرج الرسول يومًا فقال: "انطلقوا إلى يهود". فخرجنا حتى جئنا بيت المِدراس، فقال: "أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، **وإني أريد أن أجليَكم من هذه الأرض،** فمن يجد منكم بماله شيئًا فليبعْه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله"[451]. وورد في هذا الصدد عدة تهديدات وأوامر من الرسول لإخراج اليهود والنصارى: "لأخرجنّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلمًا"[452]. "أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب"[453]. "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"[454]. ومنها كذلك وصية الرسول لعلي بن أبي طالب حيث قال:

---

[449] ابن حنبل. مسند الإمام ابن حنبل. باقي مسند الأنصار، حديث عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: 26395، قال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن من أجل ابن إسحاق، ص 248، ج5. الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح وضعيف الجامع الصغير. بيروت: المكتب الإسلامي، حديث رقم: 8746، قال الألباني: صحيح.

[450] علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب. ج12، ص 196– 197.

[451] البخاري. صحيح البخاري. أبواب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، حديث رقم: 2996، ج3، ص 1155.

[452] مسلم. صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حديث رقم: 4693، ج5، ص 5.

[453] ابن حنبل. مسند الإمام ابن حنبل. مسند المبشرين العشرة بالجنة، حديث أبي عبيدة بن الجراح، حديث رقم: 1599، ص112، ج4. الألباني. السلسلة الصحيحة. حديث رقم: 1132، ص124، ج3.

[454] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسِّير، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم، حديث رقم:2825، ص267، ج10. مسلم. صحيح مسلم. كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه، حديث رقم: 3089، ص408، ج8.

"يا علي إن أنت وليت الأمر بعدي، فأخرج أهل نجران من جزيرة العرب"[455]. والمقصود بالجزيرة: مكة والمدينة وما والاهما، فهم لم يجلوا من تيماء ولا من اليمن[456].

واضح أن إجلاء الخليفة عمر كان على الجاليات اليهودية المعادية، وحتى يُصبح فعله شرعيًا ساقوا أحاديث نبوية توصي بإخراج اليهود والنصارى من الجزيرة، والواقع أن عمر لم يجلِ كل اليهود والنصارى، بل المعادين منهم فحسب، فقد ذكر البخاري سبب إجلاء عمر ليهود خيبر: فعن ابن عمر قال: "لما فدَعَ –ميل المفاصل وزوالها عن بعضها– أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيبًا فقال: إن الرسول كان عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: نقركم ما أقركم الله، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك فعُدي عليه من الليل فَفُدِعَتْ يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم. فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق فقال: يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرنا محمد، وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أظننت أني نسيت قول رسول الله: "كيف بك إذا أُخْرِجْتَ من خيبر تعدو بك قلوصك – الشابة من الإبل– ليلة بعد ليلة؟". فقال: كانت هذه هزيلة من أبي القاسم قال: كذبت يا عدو الله. فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضًا من أقتاب وحبال وغير ذلك[457].

لذا يمكن تفسير ما قام به عمر بن الخطاب من إجلاء لليهود عن الجزيرة العربية إنما هي محاولة لحماية الدولة الجديدة من عناصر لم يكن ولاؤها كاملاً. فالجلاء يمكن اعتباره جزء من عملية وقائية. بدليل بقاء بعض اليهود في المدينة وفي وادي القرى وتيماء قرونًا

---

[455] ابن حنبل. مسند الإمام أحمد بن حنبل. مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حديث رقم: 661، ج1، ص 87. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف جدًا.

[456] ابن القيم. أحكام أهل الذمة. ج1، ص187.

[457] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الشروط، باب إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك، حديث رقم: 2580، ج2، ص 973.

عديدة، كما ظل هناك يهود بطبيعة الحال في اليمن[458]. ومع هذا فقد ضرب عمر بن الخطاب لليهود والنصارى والمجوس بالمدينة إقامة ثلاث ليال يتسوقون بها، ويقضون حوائجهم، ولا يقيم أحد منهم فوق ثلاث ليال[459].

إن ما يروّج له أصحاب الفكر التقليدي من ضرورة إجلاء أهل الكتاب من جزيرة العرب يخالف أصلاً من الأصول وهو القرآن ففيه جاء أن التسامح وعدم القتال هو أساس التعامل مع الآخر المسالم: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**﴾[460]. وفي موضع آخر يحثّ القرآن على برّ المسالمين: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[461].

ومما يجدر ذكره حُسن معاملة الخليفة عمر مع أهل الكتاب، فقد مرّ بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب المساجد فقال: "ما أنصفناك كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك في كِبَرك"، ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه[462]. ووصية عمر حين طُعن حيث قال: "أوصيكم بأهل الذمة، فإنهم ذمة نبيكم"[463].

---

[458] المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ج11، ص33.

[459] البيهقي.السنن الكبرى. كتاب الجزية، باب الذمي يمر بالحجاز مارًا يقيم ببلد منها أكثر من ثلاث ليال أتم، حديث رقم: 18542، ج9، ص209.

[460] النساء: 90.

[461] الممتحنة: 8.

[462] ابن سلام، القاسم. الأموال. تحقيق: خليل محمد هراس، بيوت: دار الفكر، 1408هـ، كتاب الفيء ووجوهه وسبيله، اجتباء الجزية والخراج، وما يؤمر به من الرفق بأهلها، وينهى عنه من العنف، أثر رقم: 152، ج1، ص 165. أبو يوسف. الخراج. ص 126.

[463] الطيالسي، سليمان بن داود. مسند أبي داود الطيالسي. تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي. ط1، الناشر: هجر للطباعة والنشر، 1999م، حديث رقم: 66، ج1، ص67.

أما **العهدة العمرية (15هـ/636م)** وهي من أشهر عهوده مع أهل الكتاب، ومما يجدر معرفته أن كتب الحديث لم تذكر أي تفاصيل عن العهدة العمرية، باستثناء رواية واحدة لابن حبان تفيد وجود كتاب أمان دون بيان تفاصيله[464]. أما في كتب التاريخ فلا نجد نصًا كاملاً إلا في تاريخ الطبري، وقد تباينت الروايات حول شروط العهدة العمرية، فهناك روايات أوردت بعض الشروط كالتي أوردها اليعقوبي في تاريخه: "**هذا كتاب عمر بن الخطاب لأهل بيت المقدس إنكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم، لا تُسكن ولا تُخرب إلا أن تحدثوا حدثًا عامًا، وأشهد شهودًا**"[465]. وقد ذكر المطهر بن طاهر في كتابه البدء والتاريخ أن عمر صالح أهل إيليا على "أن لا يهدم كنائسها ولا يجلى رهبانها"[466].

أما نص العهدة كما ورد في الطبري: "**بسم الله الرحمن الرحيم؛ هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أن لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم. ولا يكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بِيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية. شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن**

---

[464] ابن حبان، محمد. الثقات. ط1، الهند: دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، 1973م، ج2، ص213.

[465] اليعقوبي. تاريخ اليعقوبي. ج2، ص147.

[466] ابن المطهر. البدء والتاريخ. ج5، ص185.

العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان، وكتب وحضر سنة خمس عشرة"[467].

يلاحظ في هذه الوثيقة مدى تسامح الخليفة عمر مع نصارى أهل إيلياء، وبروز الحرية الدينية بشكل واضح، كما يلاحظ الشرط المتعلق بشأن يهود بحيث "**لا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود**"، لأنه ربما كان هؤلاء اليهود على علاقة وطيدة مع المعاندين لسياسة عمر والمحاربين للإسلام والمسلمين، فبالخلاصة هؤلاء اليهود هم معادون ومحاربون ويؤيد ذلك ما ورد في العهدة: "**وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص**". فواضح أن المطلوب إخراجهم هم المحاربون– الروم ومن عاونهم من اليهود– واللصوص.

وأما بخصوص ما ورد عن **الشروط العمرية** لأهل الجزيرة[468] فقد ذكر ابن القيم الجوزية (651هـ/1350م) الشروط في كتابه أحكام أهل الذمة، علمًا أن هذه الشروط قد رواها قبله البيهقي(458هـ/1066م) مع شيء من التقديم والتأخير[469]، وقد أورد ابن عساكر (571هـ/1176م) تلك الشروط التي اشترطها من أقام بدمشق لأبي عبيدة بن الجراح (18هـ/639م)[470]، وقد خالف ابن القيم فأسند شروطهم إلى عبد الرحمن بن غنم (78 هـ/697م) وزاد فيها ما اشترطه الخليفة الفاروق عليهم!!: كتب أهل الجزيرة إلى عبد الرحمن بن غَنْم[471]: "**إنا حين قدمتَ بلادنا طلبنا إليك الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا، على أنا**

---

[467] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص449.

[468] وقد فتحت على يد عياض بن غنم بعد فراغه من الجزيرة سنة عشرين. الحموي. معجم البلدان. ج1، ص150. وهي الجزيرة الفراتية.

[469] البيهقي. السنن الكبرى. كتاب الجزية، باب الإمام يكتب كتاب الصلح على الجزية، حديث رقم: 18497، ج9، ص 202.

[470] ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق. ج2، ص 121.

[471] عبد الرحمن بن غنم بن كريز الاشعري: شيخ أهل فلسطين، وفقيه الشام، في عصره. ولد في حياة النبي، وبعثه عمر بن الخطاب إلى الشام ليفقه أهلها. وكان كبير القدر، قال أبو مسهر الغساني: هو رأس التابعين. وقيل: هو الذي تفقه عليه التابعون بالشام. الزركلي. الأعلام. ج3، ص 322.

شرطنا لك على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا كنيسة ولا فيما حولها ديرًا ولا قلايةً ولا صومعة راهب، ولا نجدّد ما خرب من كنائسنا، ولا ما كان منها في خطط المسلمين، وألا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوسًا، وألا نكتم غشّا للمسلمين، وألا نضرب بنواقيسنا إلا ضربًا خفيًا في جوف كنائسنا، ولا نظهر عليها صليبًا ولا ترفع أصواتنا في الصلاة ولا القراءة في كنائسنا فيما يحضره المسلمون، وألا نخرج صليبًا ولا كتابًا في سوق المسلمين، وألا نخرج باعوثًا قال: والباعوث يجتمعون كما يخرج المسلمون يوم الأضحى والفطر ولا شعانين، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في أسواق المسلمين، وألا نجاورهم بالخنازير ولا ببيع الخمور، ولا نظهر شركًا، ولا نُرغّب في ديننا ولا ندعو إليه أحدًا، ولا نتخذ شيئًا من الرقيق الذي جرت عليه سهام المسلمين، وألا نمنع أحدًا من أقربائنا أرادوا الدخول في الإسلام، وأن نلزم زينا حيثما كنا، وألا نتشبه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا في مراكبهم، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكُناهم، وأن نجزّ مقادم رؤوسنا، ولا نفرق نواصينا، ونشد الزنانير على أوساطنا، ولا ننقش خواتمنا بالعربية، ولا نركب السروج، ولا نتخذ شيئًا من السلاح ولا نحمله ولا نتقلد السيوف، وأن نوقر المسلمين في مجالسهم ونرشدهم الطريق، ونقوم لهم عن المجالس إن أرادوا الجلوس، ولا نطلع عليهم في منازلهم، ولا نُعلّم أولادنا القرآن، ولا يشارك أحد منا مسلمًا في تجارة إلا أن يكون إلى المسلم أمر التجارة، وأن نضيف كل مسلم عابر سبيل ثلاثة أيام ونطعمه من أوسط ما نجد، ضمنا لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكيننا، وإن نحن غيّرنا أو خالفنا عما شرطنا على أنفسنا وقبلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا، وقد حلّ لك منا ما يحلّ لأهل المعاندة والشقاق، فكتب بذلك عبد الرحمن بن غَنم

إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب إليه عمر أن أمضِ لهم ما سألوا، وألحق فيهم حرفين أشترطهما عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم: <u>ألا يشتروا من سبايانا شيئًا، ومن ضرب مسلمًا عمدًا فقد خلع عهده</u>، فأنفذ عبد الرحمن بن غَنم ذلك، وأقرّ من أقام من الروم في مدائن الشام على هذا الشرط"[472]. قال ابن القيم: "وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها، فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها"[473].

وقال ابن تيمية: "في شروط عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي شرطها على أهل الذمة لما قدم الشام، وشارطهم بمحضر المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، وعليه العمل عند أئمة المسلمين، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"[474].

نلاحظ أن هذه الشروط تخالف روح الإسلام وعدله وسماحته، كما أنها تخالف ما نقلوه عن عدل الخليفة عمر في السِّير، كما أن شهرة الروايات التي يزعمها ابن القيم لا تفيد بالضرورة صحتها، فقد روى هذه الشروط ابن القيم (651هـ/1350م) عن سفيان الثوري (161هـ/778م) عن مسروق بن الأجدع التابعي (63هـ/683م)،عن عبد الرحمن بن غنم (78هـ/697م). كما هو واضح هناك انقطاع في السند بالتالي الرواية لا تصح سندًا.

---

[472] ابن القيم. <u>أحكام أهل الذمة</u>. ج1، ص659-660. ويجدر هنا التنبيه إلى أن الصيغة التي أوردها ابن القيم رحمه الله للشروط العمرية لا تصح، وقد نبه العلماء على ضعف سندها، فقال الألباني: "وإسناده ضعيف جدًا من أجل يحيى بن عقبة، فقد قال ابن معين: ليس بشيء. وفي رواية: كذاب خبيث عدو الله. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: يفتعل الحديث". الألباني. <u>إرواء الغليل</u>. ج5، ص104.

[473] ابن القيم. <u>أحكام أهل الذمة</u>. ج1، ص663.

[474] ابن تيمية، أحمد عبد الحليم. <u>كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية</u>. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، ج28، ص 651.

ومن خلال التأمل في هذه الشروط نجد العديد من الأحكام الواردة فيها تخالف روح الإسلام، فقد رأينا في العهدة العمرية –إن صحّت– مدى الحرية الدينية التي كفلها الخليفة عمر، فما باله هاهنا يمنع أهل الجزيرة من إحداث دور العبادة، بلْه تجديد ما خرب منها!!

وليس من أحكام الإسلام أن يَمنع الآخرين من نشر عقائدهم، فالقرآن يقرر أنه: ﴿**لا إكراه فى الدين**﴾[475]، ﴿**ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾[476]. فكيف يشرط عليهم: "**ألا يُرغّبوا في دينهم ولا يدعوا إليه أحدًا**"، في المقابل: "**ألا يمنعوا أحدًا من أقربائهم أرادوا الدخول في الإسلام**"!!

ثم إن قضية إلزام أهل الكتاب بلبس غيار أو لباس أو زيّ معين لم يُطبَّق أيام الرسول، أما عند الفتح الإسلامي، فقد كان غيار السكان المحليين مختلفًا عن رداء العرب المسلمين حيث مُنع المحليون من ارتداء زيّ العرب كضرورة أمنية في عصور الفتح. وكان الهدف من الاختلاف في الزي تأكيد التمايز وليس التميز، بمعنى أن الزيّ شكل من أشكال التعبير، أو هو لغة خاصة يتحدث بها الإنسان ويعبِّر بها عن هويته. والواقع أن التلمود ينصح اليهود بألا يرتدوا ملابس مثل ملابس الفرس –العنصر السائد في الإمبراطورية الفارسية التي كان يعيش فيها اليهود–. وفي العصر الأموي، استبدل بالغيار الزنار. ولعل الهدف منه كان إداريًا بحيث يمكن التمييز بين الذميين والمسلمين بما تقتضيه ضرورة تسيير شئون الدولة، وكان الزنار يشبه في ذلك بطاقة تحقيق الشخصية، ولكن بعض الفقهاء نسوا وظيفة الغيار

---

[475] الكهف:29.

[476] البقرة:256.

الإدارية أو الأمنية العملية وفرضوا عليه مدلولاً رمزيًا بحيث أصبح الهدف منه الإذلال والتمييز[477].

هنالك أوامر صريحة بمخالفة أهل الكتاب، لكن هذه المخالفة ليست في جوانب الحياة كلها، وإنما هي في جانب العبادات والاعتقادات، لا في مجال المعاملات والمعاشرات، وعند التأمل في تلك الأوامر يتضح ذلك، فقول الرسول: "خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم"[478]. وقوله "**اختضبوا و أفرقوا** وخالفوا اليهود"[479]. وقوله: "خالفوا المشركين **وفروا اللحى وأحفوا الشوارب**"[480]. وقوله: "صوموا **يوم عاشوراء** وخالفوا فيه اليهود، صوموا قبله يومًا وبعده يومًا"[481]. وقوله: "فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر"[482]. وقوله: "اللحد لنا، والشق لغيرنا"[483]، وسنّ توجيه قبور المسلمين إلى الكعبة تمييزًا لها عن مقابر الكافرين[484].

فالصلاة في الخفاف والنعال، وخضاب الشعر وطريقة تصفيفه، وتوفير اللحية وحفّ الشارب، وتعجيل الفطر وتأخير السحور، وطريقة الدفن، وصيام عاشوراء كلها ممارسات وشعائر دينية خاصة، فالرسول في البداية كما يفيد البخاري "كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما

---

[477] المسيري. موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية. ج11، ص52.

[478] أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الصلاة، باب الصلاة في النعل، حديث رقم: 652، ج1، ص247، قال الألباني: صحيح.

[479] الألباني. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته. حديث رقم: 1242، ج1، ص125. قال الألباني: موضوع.

[480] البخاري. صحيح البخاري. كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، حديث رقم: 5553، ج5، ص2209.

[481] الألباني. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته. حديث رقم: 7946، ج1، ص 795. قال الألباني: ضعيف.

[482] مسلم. صحيح مسلم. كتاب الصيام، باب فضل السحور وتأكيد استحبابه واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر، حديث رقم: 2604، ج3، ص130.

[483] أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الجنائز، باب في اللحد، حديث رقم: 3210، ج3، ص 204، قال الألباني: صحيح.

[484] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، 1369هـ، ج1، ص 178.

لم يُؤمر فيه"[485]. لكنهم حينما لم يتبعوا دينه خالفهم وأمر بمخالفتهم. وقال: "من تشبّه بقوم فهو منهم"[486]. وحذّر فقال: "لتتبعنّ سَنن من كان قبلكم شبرًا شبرًا، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحر ضبّ تبعتموهم". قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: "فمن"؟[487].

وأما الزي والغيار كما يقول ابن القيم نفسه "فلم يلزموا به في عهد النبي، وإنما اتبع فيه أمر عمر"[488]. واضح أن في الأمر مبالغة. فالرسول لم يأمر بمخالفة أهل الكتاب في جميع المجالات، وإنما أمر بها الخليفة عمر على حد قوله، وقد تبيّن لنا أن تلك الشروط المنسوبة إلى الخليفة عمر لا تصح، وإن صحت فإنها تخالف روح الإسلام وعدالته، وما استدل به ابن تيمية كذلك لا يصح.

لاحظنا مما سبق المبالغة في توصيفهم مخالفة أهل الكتاب، فالأصل مخالفتهم في جوانب الدينية، لكنهم جعلوا المخالفة في جميع النواحي. ومما يلاحظ كذلك المبالغة في تطبيق مخالفة أهل الكتاب، فالمقصود مخالفة المسلمين لما عليه أهل الكتاب، فالمسلمون هم مَن يُطلب منهم مخالفة أهل الكتاب، وليس المطلوب إجبار أهل الكتاب بمخالفة ما عليه المسلمون. ومن تلك المبالغات: "وإذا دخلوا الحمام علقوا في رقابهم الأجراس ليعرف أنهم من أهل الذمة، فأما الأصفر من اللون فإنهم يمنعون من لباسه إذ كان رسول الله وكذلك الخلفاء بعده"[489]. "ولا يمكنوا من ركوب شيء من أجناس الخيل والبغال، ولا سلوك مدافن المسلمين ولا مقابرهم في

---

[485] البخاري. صحيح البخاري. كتاب اللباس، باب الفرق، حديث رقم: 5462، ج18، ص275. نص الحديث: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رءوسهم، فسدل النبي صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد".

[486] أبو داود. سنن أبي داود. كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، حديث رقم: 4033، ج4، ص78، قال الألباني: حسن صحيح.

[487] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم"، حديث رقم: 6775، ج4، ص 1637.

[488] ابن القيم. أحكام أهل الذمة. ج1، ص 236.

[489] المرجع السابق. ج2، ص764.

نهار ولا ليل، ولا يفسح لأحد منهم في المراكب المحلاة، ولتكن توابيت موتاهم مشدودة بحبال الليف مكشوفة غير مغشاة، وكذلك يمنعوا من تعلية دورهم على دور من جاورهم من المسلمين، وجملة الأمر أن ينتهي فيهم إلى قوله عز وجل ﴿**إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين**﴾[490]. وكذلك ما نقلوا عن عمر ابن الخطاب أنه كتب إلى الأمصار أن تجز نواصيهم –يعني النصارى–، وألا يلبسوا ألبسة المسلمين حتى يعرفوا[491]. وأنه قال: "لا تعزوهم وقد أذلهم الله ولا تقربوهم وقد أقصاهم[492]. وأنه كتب إلى أمراء الأمصار أن يأمروا أهل الذمة أن يختم على أعناقهم[493].

وقد ناقش ابن القيم المفارقة في تطبيق مخالفة أهل الكتاب زمن الرسول والخليفة عمر فقال: "**فإن قيل** فقد كان اليهود يلبسونها على عهد رسول الله في المدينة وحولها، ويرتدون ويفرقون رؤوسهم، ويلبسون العمائم ولم يمنعهم من شيء من ذلك، ولهذا قال: "إن اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوهم"، وسنة رسول الله أحق ما اتبع، ولم يلزمهم بالغيار، ولا خليفته من بعده أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قيل إنما اعتمد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن بعده في الغيار سنته، فإنه أرشد إلى مخالفتهم والنهي عنهم، حيث لم يكن إلزامهم بالغيار إذ ذاك ممكناً؛ لأن المسلمين لم يكونوا قد استولوا على أهل الكتاب **وقهروهم وأذلوهم وملكوا بلادهم**، بل كانت أكثر بلادهم لهم، وهم فيها أهل صلح وهدنة، فكان المقدور عليه إذ ذاك أمر المسلمين مخالفتهم بحسب الإمكان، فلما فتح الله على المسلمين أمصار الكفار وملكهم ديارهم وأموالهم، **وصاروا تحت القهر والذل**، وجرت عليهم أحكام الإسلام، ألزمهم

---

[490] ابن القيم. أحكام أهل الذمة. ج1، ص238.

[491] المرجع السابق. ج2، ص743.

[492] المرجع السابق. ج2، ص760.

[493] المرجع السابق. ج2، ص762.

الخليفة الراشد والإمام العدل– الذي ضرب الله الحق على لسانه وقلبه– وأمر رسول الله باتباع سنته عمر بن الخطاب بالغيار، ووافقه عليه جميع الصحابة، واتبعه الأئمة والخلفاء بعده، وإنما قصر في هذا من الملوك من قلت رغبته في نصر الإسلام وإعزاز أهله، وإذلال الكفر وأهله. وقد اتفق علماء المسلمين على وجوب إلزامهم بالغيار، وأنهم يمنعون من التشبه بالمسلمين في زيهم"[494].

وقال ابن تيمية: "ومما يوضح ذلك أن كل ما جاء من التشبه بهم، إنما كان في صدر الهجرة، ثم نسخ ذلك؛ لأن اليهود إذ ذاك كانوا **لا يميزون عن المسلمين لا في شعور ولا في لباس لا بعلامة!!** ولا غيرها، ثم إنه ثبت بعد ذلك في الكتاب والسنة والإجماع الذي كمل ظهوره في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما شرعه الله من مخالفة الكافرين، ومفارقتهم في الشعار والهدى، وسبب ذلك أن المخالفة لهم لا تكون إلا بعد ظهور الدين وعلوه كالجهاد، وإلزامهم بالجزية والصغار، فلما كان المسلمون في أول الأمر ضعفاء، لم يشرع المخالفة لهم، فلما كمل الدين وظهر وعلا شرع ذلك"[495].

مما سبق يتضح لنا أن ابن تيمية وتلميذه حاولا تبرير ما نُسب إلى الخليفة عمر بن الخطاب، وإضفاء الشرعية على إلزامه أهل الكتاب بمخالفة ما عليه المسلمون، وعللوا ذلك بسبب كونه خليفةً راشدًا، وبرّروا عدم إلزام الرسول أهل الكتاب بالمخالفة؛ لأن الإسلام في عهده كان ضعيفًا، فلما قوي الإسلام زمن الخليفة عمر وجب إلزامهم، وهذا ما عليه الإجماع!! وكان الأولى بهما أن يدافعوا عن روح الإسلام وسماحته، وينفوا مثل هذه الأحكام والشروط عن تعاليم الإسلام، وألا يعطوا مبررات للأحداث التاريخية وما فيها من تجاوزات ومبالغات.

---

[494] ابن القيم. أحكام أهل الذمة. ج2، ص756.

[495] ابن تيمية. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. ج1، ص176.

وفي هذا الصدد يقول د. صبحي الصالح محقق كتاب أحكام أهل الذمة لابن القيم: "لئن وجدنا صورًا غير قليلة من تشدد ابن القيم مع غير المسلمين فلنلتمس له بعض العذر، فيما كان يسود عصره من التعصب المذهبي، والتشدد الديني، الذيْن أذكتْ نارهما الحروب الصليبية، وقد استمرت قرنين كاملين، (490-690هـ/1097-1291م) وعاش ابن القيم في العصر الذي تلا تلك الحروب.. لقد رأى ابن القيم ما خلفته تلك الحروب من التدمير والتخريب، وإن لم يتحْ له أن يعيش فعلاً في جوها الرهيب، وانطبعت في نفسه صورة قاتمة مكفهرة عن غدر الذميين لها سند من التاريخ مهما يكن قد غلا فيها"[496]. لكن في البحث العلمي لا يُلتمس العُذر، بل تُفهم الظروف التي اكتنفت الكاتب، فإذا فُهمت على الوجه الصحيح، لم تُؤخذ كأساسٍ وقاعدة، بل تُفهم ضمن إطار الظروف والملابسات. والمبالغات والعاطفة تبعد الحكم على الأشياء عن الحكمة والعقلانية، وهذا ما وقع فيه ابن تيمية وابن القيم.

فالخلاصة أن موضوع منع أهل الكتاب من بعض الأفعال والسلوكيات، كان من باب السياسة التي لها ظروفها الاستثنائية، فبالمقابل نجد أنه قد أضاف البابا غريغوريوس التاسع عام (623هـ/1227م) المراسيم التالية: "يجب على المسلمين واليهود أن يرتدوا ملابس مميزة لهم، ويجب ألا يظهروا في الشوارع أثناء الأعياد المسيحية، وألا يتولوا مناصب حكمية في البلدان المسيحية، كما مُنع المؤذن من إيذاء أسماع المسيحيين بدعوة المسلمين إلى إقامة الصلاة بالأسلوب المعهود"[497].

---

[496] الصالح، صبحي. مقدمة تحقيق كتاب أحكام أهل الذمة. ج1، ص71-72.

[497] أرمسترونج، كارين. محمد. ص43.

ولما كان كتاب ابن القيم يشكل أساسًا عند المفكرين التقليدين في معاملة أهل الكتاب، فلا بد من مناقشة مفهوم الجزية، وكيفية أدائها كما يصورها ابن القيم.

يرى ابن القيم أن الجزية وضعت صغارًا وإذلالاً للكفار، لا أجرة عن سكنى الدار!![498]، وسر المسألة أن الجزية من باب العقوبات لا أنها كرامة لأهل الكتاب فلا يستحقها سواهم[499].

لكن الجزية كمصطلح مالي إنما فرضت مقابل حماية أهل الكتاب والدفاع عنهم، وليس من باب الإذلال والعقوبة، ولا أجرة عن سكنى الدار، فهي تؤخذ ممن هو قادر على حمل السلاح، وتسقط عمن تجب عليه إذا لم تستطع الدولة أن تقوم بواجب حماية أهل الذمة من مواطنيها، وتسقط أيضًا باشتراك أهل الذمة مع المسلمين في القتال والدفاع عن دار الإسلام. كما فُرضت الجزية على مسلمي مصر كمسيحييها لما أعفوا من الخدمة العسكرية[500]. فلو كانت الجزية كما يقول ابن القيم وضعت لإذلال أهل الكتاب وهي من باب العقوبات، لفرضت على جميعهم القادر على حمل السلاح وغير القادر، ولمَا سقطت عن أحد منهم البتة!

وفسر ابن القيم قول الله "**عن يد وهو صاغرون**"[501]؛ أي يعطوها أذلاء مقهورين هذا هو الصحيح في الآية[502]، وأبعد كل البعد ولم يصبْ مراد الله مَن قال المعنى عن يد منهم؛ أي عن قدرة على أدائها، فلا تؤخذ من عاجز عنها، وهذا الحكم صحيح وحمل الآية عليه باطل،

---

[498] ابن القيم.أحكام أهل الذمة. ج1، ص25.

[499] المرجع السابق. ج1، ص17.

[500] المسيري. موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية. ج11، ص42.

[501] التوبة: 29.

[502] ابن القيم.أحكام أهل الذمة. ج1، ص23.

ولم يفسر به أحد من الصحابة ولا التابعين ولا سلف الأمة، وإنما هو من حذاقة بعض المتأخرين[503].

أما الصغار فبعد أن سرد اختلافات المفسرين من جرّ دافع الجزية إلى الموضع الذي تؤخذ منه بالعنف، ثم تجرّ يده ويمتهن، أو أن يكون دافع الجزية قائمًا، ويكون الآخذ جالسًا، أو يكون دافع الجزية ماشيًا لا راكبًا، قال: "وهذا كله مما لا دليل عليه، ولا هو مقتضى الآية، ولا نُقل عن رسول الله، ولا عن الصحابة أنهم فعلوا ذلك، والصواب في الآية أن الصغار؛ هو التزامهم لجريان أحكام الملة عليهم، وإعطاء الجزية، فإن التزام ذلك هو الصغار"[504].

هذه الهيئة باطلة، ولا نعلم لها أصلاً معتمدًا، وإنما ذكرها بعضهم، فالصواب الجزم ببطلانها، وردّها على من اخترعها، ولم ينقل أنه عليه الصلاة والسلام ولا أحد من الخلفاء الراشدين فعل شيئًا منها"[505].

إن دفع الجزية الذي يعني ضمنيًا التبعية للمسلمين، إذ بدفع الجزية يتقدم المسلمون للدفاع عن أهل الكتاب، وهذا هو معنى الصغار، وليس معناه التزام أهل الكتاب أحكام الملة عليهم، فليس على أهل الكتاب أي التزام ديني، فلهم دينهم الخاص، بل عليهم تأمين مبالغ مالية يسيرة مخصوصة على أناس مخصوصين مقابل حمايتهم وخدمتهم، وإلا سقطت عنهم الجزية، كما هو واضح في كتاب خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا وقومه: "**إني عاهدتكم على الجزية والمنعة على كل ذي يد، القوى على قدر قوته، والمقل على قدر إقلاله، في كل سنة. وإن قد**

---

[503] المرجع السابق. ج1، ص23.

[504] المرجع السابق. ج1، ص23-24.

[505] الحصيني، أبو بكر بن محمد. كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار. تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، دمشق: دار الخير، 1994م، ج1، ص512.

نقبت على قومك، وإن قومك قد رضوا بك. وقد قبلت ومن معي من المسلمين، ورضيت ورضى قومك، فلك الذمة والمنعة فإن منعناكم فلنا الجزية، وإلا فلا حتى نمنعكم"[506].

وقد أورد المحدثون[507] والمؤرخون[508] مضاعفة الخليفة عمر الفاروق الجزية على بني تغلِب وهم من نصارى العرب؛ لأنهم كانوا يأنفونها ويرونها مذمةً لهم[509]. لكن تلك الروايات منقطعة الأسانيد[510]، ومما يدلل على ضعفها أن الخليفة عمر قبِل الجزية من نصارى نجران وهم عرب قبل إجلائهم إلى الشام والعراق[511]. وإن ثبت أن الخليفة عمر قد أخذها مضاعفةً فيكون ذلك من باب ردعهم لمخالفتهم الأعراف المعهودة. إذ جاء في رواية الطبري: قول بني تغلب: "والله لئن وضعت علينا الجزاء لندخلنّ أرض الرّوم، والله لتُفضحنّا من بين العرب، فقال لهم عمر: "أنتم فضحتم أنفسكم، **وخالفتم أمّتكم فيمن خالف**، وافتضح من عرب الضاحية، وتالله لتؤدّنّه وأنتم صَغَرة قَمأَة[512]، ولئن هربتم إلى الرّوم لأكتبنّ فيكم، ثمّ لأسبينّكم". قالوا: فخذ منا شيئًا ولا تسمّه جزاءً، فقال: "أمّا نحن فنسمّيه جزاءً، وسمّوه أنتم ما شئتم"[513].

أما بخصوص بناء الكنائس ودور العبادة، يقول ابن القيم بعد أن نقل قول مَن قال إن من السُّنّة أن تُهدم الكنائس التي في الأمصار القديمة والحديثة: "وهذا الذي جاءت به النصوص

---

[506] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص319.

[507] مالك، ابن أنس. موطأ الإمام مالك. تحقيق: د. تقي الدين الندوي، ط1، دمشق: دار القلم، 1991م، كتاب الزكاة، باب الجزية، حديث رقم: 333، ج2، ص135. البيهقي. السنن الكبرى. كتاب الجزية، باب نصارى العرب تُضعّف عليهم الصدقة، حديث رقم: 19266، ج9، ص216.

[508] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص337. البلاذري. فتوح البلدان. القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ج1، ص 216. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم .الخراج. ص 143.

[509] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج7، ص88.

[510] ابن حزم، علي بن أحمد. المحلى. بيروت: دار الفكر، ج6، ص 112.

[511] العمري، أكرم بن ضياء. عصر الخلافة الراشدة .. محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين. مكتبة العبيكان، ج1، ص185.

[512] قمأة: ذليلون. انظر: ابن منظور. لسان العرب. ج1، ص134.

[513] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص485.

والآثار هو مقتضى أصول الشرع وقواعده، فإن إحداث هذه الأمور –يعني بناء دور عبادة لأهل الكتاب– إحداث شعار الكفر، وهو أغلظ من إحداث الخمارات والمواخير، فإن تلك شعار الكفر وهذه شعار الفسق، ولا يجوز للإمام أن يصالحهم في دار الإسلام على إحداث شعائر المعاصي والفسوق فكيف إحداث موضع الكفر والشرك؟ وقال: كتب عمر رضي الله عنه: "إن أحق الأصوات أن تخفض أصوات اليهود والنصارى في كنائسهم"[514]!!

وقال: "فالواجب على ولي الأمر فعل ما أمره الله به، وما هو أصلح للمسلمين من إعزاز دين الله، وقمع أعدائه، وإتمام ما فعله الصحابة من إلزامهم بالشروط عليهم، ومنعهم من الولايات في جميع أرض الإسلام، لا يلتفت في ذلك إلى مرجف أو مخذل يقول إن لنا عندهم مساجد، وأسرى نخاف عليهم"[515].

لكن مسألة بناء الكنائس الجديدة ودور العبادة الخاصة بأهل الكتاب فإن من فقهاء المسلمين من يجيزها في الأمصار الإسلامية، وحتى في البلاد التي فتحها المسلمون عنوة، "إذا أذن لهم إمام المسلمين بناء على مصلحة رآها"، وذلك على مذهب الزيدية وابن قاسم"[516]. وما

---

[514] ابن القيم. أحكام أهل الذمة. ج2، ص716.

[515] ابن القيم. أحكام أهل الذمة. ج2، ص688.

[516] المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ج11، ص46. زيدان، عبد الكريم. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1408هـ، ص 96 – 99.

ذكره المقريزي[517] يشهد على ذلك بقوله: "وجميع كنائس القاهرة المذكورة محدثة في الإسلام بلا خوف"[518].

اتسعت الفتوحات أيام الخليفة عمر، واختلط المسلمون بأجناس جديدة، وقد انتشر زواج المسلمين بالكتابيات، وخاصة كبار وقادة المسلمين، وهذا ما جعل الخليفة عمر يكره مثل هذا التوجه، خشية أن يترك المسلمون المسلمات، ويقبلوا على الكتابيات الحسناوات. فقال الخليفة عمر للذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب: "طلِّقوهن" فطلقوهن إلا حذيفة، فقال له عمر: "طلقها". قال: تشهد أنها حرام؟ قال: هي خمرة –أو جمرة– طلقها، قال: تشهد أنها حرام؟ قال: هي خمرة، قال: قد علمت أنها خمرة –أو جمرة–، ولكنها لي حلال. فلما كان بعد، طلقها، فقيل له: ألا طلقتها حين أمرك عمر؟ قال: "كرهتُ أن يرى الناس أني ركبت أمرًا لا ينبغي لي. ولأنه ربما مال إليها قلبه ففتنته، وربما كان بينهما ولد، فيميل إليها"[519].

فعمر بن الخطاب لم يُحرّم الزواج من الكتابيات فالقرآن أحلّ ذلك، والرسول قد تزوج من الكتابيات، بل ما قام به داخل في باب السياسة الشرعية، وهو منع المباحات، ومنها الزواج من الكتابيات، وسبب المنع هو الخوف من الإقبال على الزواج من الكتابيات وترك المسلمات، وقد منع عمر بن الخطاب زواج القادة الميدانيين حتى لا يكونوا قدوةً لغيرهم.

---

[517] المقريزي(766 – 845هـ/1365–1441م): أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة من حارات بعلبك في أيامه، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، واتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة 810 هـ، وعرض عليه قضاؤها فأبى. وعاد إلى مصر. من تآليفه كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. الزركلي. الأعلام. ج1، ص 177.

[518] المقريزي. أحمد بن علي. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1987م،ج3، ص 246.

[519] ابن القيم. أحكام أهل الذمة. ج2، ص796.

وأخيرًا نذكر أشهر الأمثلة على عدل الخليفة عمر، وهي قصة القبطي مع عمرو بن العاص والي مصر؛ حيث ضرب ابن عمرو ابن القبطي بالسوط، وقال له: أنا ابن الأكرمين! فما كان من القبطي إلا أن ذهب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في المدينة وشكا إليه، فاستدعى الخليفة عمرو بن العاص وابنه، وأعطى السوط لابن القبطي، وقال له: اضرب ابن الأكرمين، فلما انتهى من ضربه التفت إليه عمر وقال له: أدرها على صلعة عمرو فإنما ضربك بسلطانه، فقال القبطي: إنما ضربتُ مَن ضربني. ثم التفت عمر إلى عمرو وقال كلمته الشهيرة: "يا عمرو، مُذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟"[520].

موقف عثمان بن عفان من غير المسلمين

بالرغم من أن المصادر تصف الخليفة عثمان بن عفان (23-35 هـ/643-655م) بأنه ضعيف الشخصية ورقيق القلب، إلا أنه كان من مؤيدي التوسع والفتوحات حتى يُقال إنه كان يطمح ليس بفتح القسطنطينية بل أراد أن يفتح جميع البلاد الواقعة حول البحر الأبيض المتوسط[521].

يسجل لنا المؤرخون موقفًا من مواقف الخليفة عثمان بن عفان تجاه نصارى أهل نجران، حيث كان الرسول قد أقرّ أهل نجران على شروط اشترطها عليهم واشترطوها هم، وكتب لهم بذلك كتابًا يوضح هذه الشروط ومنها دفعهم الجزية ومقدارها، ثم جاءوا بعد الرسول فكتب لهم أبو بكر كتابًا بهذه الشروط، ثم جاءوا من بعد أن استخلف عمر إليه، وكان عمر قد أجلاهم عن نجران اليمن وأسكنهم بنجران العراق؛ لأنه خافهم على المسلمين وكتب

[520] ابن الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله. فتوح مصر وأخبارها. تحقيق: محمد الحجيري، ط1، بيروت: دار الفكر، 1996م، ج1، ص183.

[521] يوسف، محسن. علاقة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين بأوروبا. ص20.

لهم كتابًا، فلما قُبض عمر واستخلف عثمان بن عفان أتوه إلى المدينة، فكتب لهم إلى الوليد بن عقبة وهو عامله الكتاب التالي: "**بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله عثمانَ أميرِ المؤمنين إلى الوليد بن عقبة سلام الله عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن الأسقف والعاقب وسراة أهل نجران الذين بالعراق أتوني، فشكوا إليَّ وأروني شرط عمر لهم، وقد علمت ما أصابهم من المسلمين، وإني قد خففت عنهم ثلاثين حلة من جزيتهم وتركتها لوجه الله تعالى جل ثناؤه، وإني وفيت لهم بكل أرضهم التي تصدق عليهم عمر عقبى مكان أرضهم باليمن، فاستوصِ بهم خيرًا فإنهم أقوام لهم ذمة. وكانت بيني وبينهم معرفة، وانظر صحيفة كان عمر كتبها لهم فأوفهم ما فيها، وإذا قرأت صحيفتهم فارددها عليهم، والسلام. وكان ذلك في النصف من شعبان سنة سبع وعشرين**"[522]. فقد صالح الرسول أهل نجران على ما يعادل 80000 درهمًا سنويًا، ولما تولى عثمان بن عفان شكوا إليه قلة عددهم وتفرقهم في البلاد، فخفضها عنهم إلى 72000 درهمًا[523]. ولعل شخصية عثمان الرقيقة وهناء العيش في زمن خلافته ساهم في تقديم التسهيلات لنصارى نجران.

وقد تزوج الخليفة عثمان من أهل الكتاب، فتزوج نائلة بنت الفرافصة الكلبية، وكانت على النصرانية، وقد أسلمت قبل أن يدخل بها، وحسن إسلامها[524].

فبعد أن بلغ الخليفة عثمان أن سعيد بن العاص قد تزوج أخت نائلة بنت الفُرافصة وهو أمير على الكوفة فكتب إليه: "بلغني أنك تزوجت امرأة، فأخبرني عن حسبها وجمالها". فكتب إليه: "أما عن حسبها فإنها ابنة الفُرافصة وأما جمالها فإنها بيضاء". وكتب إليه: "إن كان

---

[522] الصلابي، علي محمد. عثمان بن عفان. ج1، ص156.

[523] الصلابي، علي محمد. الدولة الأموية ..عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار. بيروت: دار المعرفة، 2005م، ج3، ص 69.

[524] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص603.

لها أخت فزوجنيها". فدعا الفرافصة فقال له: زوِّج أمير المؤمنين فقال الفرافصة لابنه ضبّ وكان مسلمًا والفرافصة نصراني: زوِّج أختك أمير المؤمنين، فزوجه نائلة وحملها إليه. فلما دخلت على عثمان وضع القلنسوة عن رأسه وبدا الصلع، فقال: لا يغُمنَّك ما ترين، فإن من ورائه ما تحبين. قالت له: أما ما ذكرت من صلعك فإني من نسوة أحب أزواجهنّ إليهنّ السادة الصلع. ثم قال لها: إما أن تتحولي إلي أو أتحول إليك. قالت: ما قطعت من جنبات السماوة أبعد مما بيني وبينك، فتحولت إليه، فكانت من أحظى النساء عنده. وقد تزوجها وهي نصرانية على نسائه، ثم أسلمت على يديه"[525].

موقف علي بن أبي طالب من غير المسلمين

تولى علي بن أبي طالب (35–40هـ/ 655–660م) الحكم إبّان ظروف صعبة؛ بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، والمطالبة بمعاقبة قتلة عثمان، واضطراب الأحوال، واختلاف ميول الناس، ومن أبرز مواقف علي بن أبي طالب من غير المسلمين ما عُرف بـ "السبيئية".

ظهرت السبئية أو السبابية[526] على يد رجل يهودي أسلم في فترة خلافة عثمان اسمه عبد الله بن سبأ[527](7 ق.هـ–40 هـ/616–660م)، وبدأت نشر دعاية واسعة تنتقد شرعية الخليفة وسياسته، وتؤكد على أحقية علي بن أبي طالب بالخلافة، وأن من سبقه إليها اغتصبها منه، ونسبت إلى علي صفات إلهية[528]. ونقل الطبري أن ابن سبأ أخذ يتنقل في بلدان المسلمين

---

[525] ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق . ج7، ص137.

[526] في ذكر قول السبابية: أتباع عبد الله بن سبأ. انظر: البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. الفَرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية. ط2، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1977م، ج1، ص 223.

[527] ابن حجر، أحمد بن علي. لسان الميزان. تحقيق: دائرة المعرف النظامية، ط3، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1986م، ج3، ص 289. ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق. ج29، ص3.

[528] البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، 1979م، ج1، ص 348.

يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: "العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمدًا يرجع وقد قال الله: "**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ**"[529]، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء، ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا الطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعاته وكاتب من كان استفسده في الأمصار وكاتبوه، ودعوه في السر إلى ما عليه رأيه"[530].

ولما بويع علي بن أبي طالب خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ فقال له: "أنت دابة الأرض". قال: فقال له: "اتق الله". فقال له: "أنت الملك". فقال له: "اتق الله". فقال له: "أنت خلقت الخلق، وبسطت الرزق". فأمر بقتله، فاجتمعت الرافضة فقالت: دعْهُ وانفِهِ إلى ساباط المدائن، فإنك إن قتلته بالمدينة خرجت أصحابه علينا وشيعته فنفاه إلى ساباط المدائن"[531].

ولقد ذكر البغدادي في الفرق بين الفِرق أن فرقة السبئية أظهروا بدعتهم في زمان علي، فأحرق قومًا منهم ونفى ابن سبأ إلى سباط[532] المدائن، إذ نهاه ابن عباس عن قتله حينما بلغه غلوّه فيه، وأشار عليه بنفيه إلى المدائن حتى لا تختلف عليه أصحابه، لاسيما وهو عازم على العودة إلى قتال أهل الشام[533]. وقال ابن حزم: "والقسم الثاني من الفرق الغالية الذين

---

[529] القصص:85.

[530] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. ج2، ص 647.

[531] ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق. ج29، ص 10.

[532] بُليدة معروفة بما وراء النهر قرب أشروسنة على عشرة فراسخ من خجند وعلى عشرين فرسخًا من سمرقند ينسب إليها طائفة من أهل العلم، الحموي. معجم البلدان. ج3، ص 166.

[533] البغدادي. الفَرق بين الفرق. ط2، ج1، ص15.

يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله، أتوا إلى علي بن أبي طالب فقالوا مشافهةً: أنت هو، فقال لهم: "ومن هو؟" فقالوا: أنت الله، فاستعظم الأمر وأمر بنار فأُججت وأحرقهم بالنار"[534].

ولما قُتل علي زعم ابن سبأ أنه لم يمت؛ لأن فيه جزءًا إلهيًا، وأن ابن ملجم إنما قتل شيطانًا تصوّر بصورة علي، وأن عليًا في السحاب، والرعد صوته، والبرق سوطه، وأنه سينزل إلى الأرض"[535].

وذهب بعض المؤرخين[536] إلى أن الخليفة عليًا لم يحرق ابن سبأ وإنما نفاه إلى المدائن، ثم ادعى بعد موت علي أن عليًا لم يمت. ويرى الدكتور الهلابي أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة الملك سعود أن خبر إحراق السبئية مزعوم مخترع؛ لأن هذه العقوبة غير مألوفة لا في عهد الرسول ولا عهد الخلفاء الراشدين قبلهم[537]!!. لكن يرد قوله أنه قد ثبت في الروايات التاريخية والحديثية أن الخليفة أبا بكر الصديق قد عذّب بالنار. وأكدت كذلك الروايات التاريخية على تحريق الخليفة علي لبعض السبئية، ومن أصحها وهي رواية البخاري وفيها: "أتى علي الزنادقةَ فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله، ولَقتلتُهم لقول رسول الله: "من بدل دينه فاقتلوه"[538]. وورد عنه أنه قال: "قد عذّب أبو بكر بالنار فاعبدوه أيضًا!"[539].

---

[534] ابن حزم. الفصل في الملل. ج4، ص 142. البغدادي. الفَرق بين الفرق. ج1، ص15.

[535] الصفدي. الوافي بالوفيات. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000م، ج5، ص393.

[536] البغدادي. الفَرق بين الفرق. ج1، ص15. ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق. ج29، ص 10. الصفدي. الوافي بالوفيات. ج5، ص393.

[537] الهلابي، عبد العزيز.عبد الله بن سبأ. حوليات الآداب الكويتية، ص22.

[538] البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسّير، باب لا يعذب بعذاب الله، حديث رقم: 2794، ج 10، ص211.

[539] ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق. ج29، ص 10.

ومهما يكن من حرق الخليفة علي بن أبي طالب لبعض السبئية فإن هذا الفعل هو اجتهاد منه، وهو مخالف لما صحّ عن الرسول قوله لبعض جنده: "إن وجدتم فلانًا فاحرقوه بالنار". فوليتُ –يقول الراوي– فناداني فرجعت إليه فقال: "إن وجدتم فلانًا فاقتلوه ولا تحرقوه، فإنه لا يُعذب بالنار إلا ربّ النار"[540]. وأما إن قيل قد عذّب بالنار قبله الخليفة الصديق فقد تبيّن لنا أنه ندم على ذلك. فموقف الخليفة علي بن أبي طالب في قضية تحريق المعارضين مخالف لتعاليم الإسلام الحنيف، وهو مجتهد له أجره. ولا ينبغي الاقتداء به في تحريق المعارضين أو المحاربين بحجة أن "عليكم بسنّتي وسُنة الخلفاء المهديين من بعدي".

وأخيرًا نذكر صورة من أروع شواهد عدل الخليفة علي بن أبي طالب مع أهل الكتاب، خصومته مع يهودي في درعه التي فقدها ثم وجدها عند اليهودي، فاحتكما إلى شريح القاضي، فحكم بها لليهودي، فأسلم اليهودي وقال: "أما إني أشهد أن هذه أحكام أنبياء! أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه، فيقضي لي عليه! أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، الدرع درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين، فخرجت من بعيرك الأورق". فقال علي: "أما إذ أسلمت فهي لك"[541].

---

[540] أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار، حديث رقم: 2675، ج3، ص 8. قال الألباني: صحيح.

[541] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. ج8، ص5.

خاتمة

بعد موت الرسول وتولّي أبي بكر للسلطة، حاولت بعض القبائل العربية التمرد والخروج على السلطة، فما كان من الخليفة الصديق إلا أن اتبع سياسة الحزم معهم فقاتلهم، وما يُقال إن الخليفة الصديق قاتلهم لأنهم كانوا جميعًا مرتدين عن الدين، فقد بيّن العرض أنه قاتلهم لمحاولتهم الانقضاض والخروج على السلطة، ولم يقاتلهم لمجرد ردتهم وخروجهم عن الدين. وأما سياسة قتل المرتدين بالتحريق فقد ثبت أنه ندم على ذلك، وبخصوص السبايا فقد طبّق ما درجت عليه عادة العرب، حتى أوقفها الخليفة الفاروق.

أما في عهد الخليفة عمر فقد أشار العرض إلى أن فترته كانت مليئة بالأحداث، فقد تطرق العرض بالنقاش إلى ما نُسب إلى الخليفة عمر حول إجلاء اليهود، فقد اتضح أنه لم يُجلِ إلا اليهود المحاربين، وليس كل اليهود. وبيّن العرض ما اشتهر من أمر العهدة العمرية، حيث أثبت عدم صحتها، مع ما فيها من قِيم سامية، وأما بخصوص ما يُعرف بالشروط العمرية، فقد وضح العرض مدى مخالفة هذه الشروط لأصول ومبادئ الإسلام، فقد ضمن الإسلام الحرية الدينية لأهل الكتاب؛ من بناء دور العبادة الخاصة بهم، وترميمها، ولم يُلزم أهل الكتاب بزي معين. وإنما كان ذلك ضمن سياسة "التمييز بالزي" لمعرفة الهُويات. وناقش العرض بعض المفاهيم التي طرحها ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة؛ وذلك لأنه يعدّ مصدرًا مهمًا عند التقليديين، وفنّد آراءه حول بناء الكنائس، وغيار أهل الكتاب وزِيّهم، وكيفية إعطاء الجزية والهدف منها. وتطرق العرض إلى كراهة الخليفة عمر لزواج المسلمين من الكتابيات وسبب ذلك. وأخيرًا أبرز العرض مظهرًا من مظاهر عدل الخليفة عمر مع أهل الكتاب.

أما في عهد الخليفة عثمان، الذي كان طموحًا ومشغولاً في التوسع والفتوحات، فقد أظهر العرض بعض كتبه لأهل الكتاب، وذكر زواجه من النصارى.

أما في عهد الخليفة علي بن أبي طالب فقد تطرق العرض إلى ما عُرف بـــ السبئية وبيّن المقصود منها، وأهم مبادئها، وذكر خبر تحريق بعضهم بالنار، وتبيّن أن حرقهم كان اجتهادًا منه ينبغي ألا يُتابع عليه، وينبغي التعامل مع غير المسلمين ضمن القوانين والأعراف.

خاتمة الدراسة

نشأ الرسول محمد (570م) في مكة مركز الحجاز وسط العديد من أتباع الديانات الوثنية، ووجود طفيف لأتباع الديانتين اليهودية والنصرانية حول مكة وما جاورها، وقد صادف محمد قبل البعثة بعض المصلحين ممن عُرفوا بالأحناف فتعاطف مع فكرهم، وكان يخالف قومه الوثنيين ويتابع أهل الكتاب، وقد اتهم فيما بعد أن تعاليمه مأخوذة عنهم.

أما في مرحلة البعثة (610م) فقد اتبع محمدًا من بقي من الأحناف وبعض أشراف مكة وضعفائها، وشكّل بهم مصدر قلق لزعماء قريش وسُمعتها. فلم يتعرض زعماء قريش لمحمد لمكانة قبيلته الدينية، مما ساعد الأخير في توسيع نشاطه لنشر فكره، وقد حاول زعماء مكة إغراء محمد لثنيه عن أفكاره فرفض وأبى، فلما نال من آلهتهم وسبّ دينهم، بدأ الصراع بالتوتر فلجأ القرشيون إلى استعمال القوة لإخماد دعوته، فبدأوا بتعذيب أتباعه الضعفاء، لكن معرفة محمد بعدل ملك الحبشة النصراني ساعدت في تخفيف الوطأة على أتباعه فقد لجأ العديد منهم إليه، واستمر محمد في نشر أفكاره على القبائل الوافدة إلى مكة في المواسم، حتى بلغ الصراع درجة عالية من التوتر، حتى قرّر زعماء قريش أن يمارسوا سياسة الإقصاء فيما عُرف بصحيفة المقاطعة، ولعبت رابطة الدم والقرابة الدور الأبرز في كسر ذلك الحصار.

وبعد فقدان محمد لأبرز المناصرين له بلغ الصراع أوجه فقد قرّر زعماء مكة التخلص من شخص محمد أو إخراجه من مكة خليعًا طريدًا. لكن محمدًا نجح في إيجاد مناصرين له في يثرب فخرج إليها ناجيًا من خطة قريش لتصبح يثرب مقرًا له ولأتباعه.

بالرغم من توتر العلاقة بين محمد وزعماء مكة في المرحلة المكية، بدءًا من الإهمال مرورًا بالإغراءات، ثم لما زاد التوتر باضطهاد الضعفاء والتهجير، والحصار والمقاطعة، انتهاءً بمحاولة التخلص من شخص محمد واغتياله، إلا أن محمدًا لم يواجه القوة بالقوة، بل

فضّل عدم المواجهة، والجنوح إلى السلم والبحث عن مناصرين لفكره. ولعلّ السبب في ذلك أن فكره ما زال في مرحلة البداية وأتباعه ما زالوا قلة، فمن المجازفة والانتحار مواجهة العنف بالعنف، وهكذا تنجح الأفكار في مواجهة الأخطار.

بعد استقرار محمد في المدينة(623م) قام ببعض الترتيبات، حيث نظم العلاقة بين أتباعه وبين سكّان المدينة، ليضمن بذلك الجبهة الداخلية في مواجهة قريش وحلفائها، وبدأ حملات عسكرية متكررة لقطع طرق تجارة قريش مما شكّل تهديدًا حقيقيًا لمكانة قريش واقتصادها. فنشبت بين محمد وقريش وحلفائها حروب عديدة انتهت بهزيمة الأخيرة، حتى سيطر محمد على مكة–معقل الوثنية– (630م) ودخل أهلها في دينه في نهاية المطاف.

لما استطاع محمد من إيجاد القوة والحلفاء تطوّر التوتر مع زعماء مكة وحلفائهم ليصير صراعًا عسكريًا تقابل فيه القوة بالقوة. لكن مما يجدر ذكره أن استخدام القوة كان له حدود وهو صدّ العدوان، لذا فلم يقتل محمد أهل مكة حينما فتحها بالرغم من محاربتهم إياه سنين، وليس المانع من قتلهم رابطة الدم والقرابة بالدرجة الأولى بل هو موقفهم منه وظنّهم به، فلما قالوا أخ كريم وابن أخ كريم، أطلق حرياتهم.

بالرغم من محاولة محمد تمتين الجبهة الداخلية وتوحيدها إلا أنه قد ظهر منافقون شكّلوا هاجسًا لمحمد وأتباعه وصعوبة كبيرة في كيفية التصرف معهم. فلم يكن بالإمكان تصفيتهم جسديًا، لكن تمّ التعامل معهم بالإهمال والمقاطعة، تمامًا كما كانت قريش تعالج محمدًا أول الأمر.

أما علاقة محمد مع أهل الكتاب وخاصة اليهود فقد كانت البداية ودّيّة ومتقاربة لوجود القواسم المشتركة بين فكرة محمد واليهودية التوحيدية، وبغضهما للوثنية، إلا أن هذا الودّ والتقارب انقلب مبكرًا إلى بغض وتباعد، حيث بدأ الجدال الفكري وتوترت العلاقة حتى لجأ محمد إلى الصراع العسكري انتهى إلى تخليص المدينة من اليهود، ساعد في ذلك وجود الفُرقة والعداوة وسوء الظن بين صفوف اليهود.

لما حاول محمد كسب اليهود إلى فكره وصفّه في حربه مع الوثنيين إلا أنهم أصروا على عدم متابعته، قرّر محمد جعل المدينة خالصة للمسلمين فعمِل على التخلص من اليهود تدريجيًا، حتى انتهى به المقام إلى قتل معظم زعمائهم وإخراج العديد منهم من المدينة.

أما بخصوص النصارى فلم يكن لهم تأثير بارز في مكة وما جاورها، بل كانوا أفرادًا لا يشكلون كيانًا منافسًا لمحمد وأتباعه، إلا الحبشة وهي بعيدة جعرافيًا عن الحجاز وإطارها. لكن ممكن جدًا أن لو كان للنصارى كيان قريب من مجال كيان محمد لحصل صراع فكري كما صار مع –نصارى أهل نجران– وربما تطوّر الصراع ليكون عسكريًا، وهذا غير مستبعد بناءً على استقراء تاريخ علاقات محمد مع أتباع الديانات الأخرى، وفي تلك الحقبة التاريخية مقبول تحوّل الصراع الفكري إلى عسكري دموي بكل بساطة.

بعد وفاة مؤسس الإسلام محمد بدأت قبائل في التمرد على مركز وسلطة المسلمين، فاتبع الخليفة أبو بكر سياسة الحزم مع تلك القبائل المتمردة وذلك قفزًا إلى الصراع العسكري العنيف مع من ثبت تمردهم.

أما في خلافة عمر فقد تابع خطة محمد في طرد اليهود المحاربين من الجزيرة العربية، لتكون خالصة للمسلمين وحلفائهم، ومع ذلك فقد أعطى اليهود المسالمين –وهم قلة– حقوقهم وحرياتهم.

وفي خلافة عثمان فقد استمر في إنفاذ المواثيق والعهود مع النصارى التي أبرمها محمد مع تخفيف الجزية عن بعض النصارى، وقد تزوج منهم وأسلمت.

أما في خلافة علي فقد ظهر خلاف داخلي بين المسلمين نتيجة اختلاف بعضهم في فهم أصول الحكم، وقد أفرز ذلك الخلاف فرقة عرفت بالسبئية التي ادعت ألوهية علي وأحقيته في الحكم، فكان تعامل الخليفة علي معهم صارمًا فقد بلغ الصراع أوجه من نفي بعضهم وقتل بعضهم بالتحريق.

لذا يمكن القول إن موقف الخلفاء من غير المسلمين كان متوقفًا على الظروف والملابسات، فإن كان الصراع تمردًا داخليًا كان الحزم هو سيّد الموقف كما هو الحال في زمن الخليفة الصديق وعلي، أما في حالات الاستقرار فقد كانت العلاقات هادئة.

إن الإسلام كأي فكرة تولَد واحدة بسيطة لكن سُرعان ما تُعارض وتُرفض، ولعدم قوة تلك الفكرة فإنها تتسامح وتنسحب من المواجهة، لتكسب المناصرين والمؤيدين، ثم سرعان ما تكبُر هذه الفكرة فبقدر ما يقع عليها تهديدات يزداد أتباعها ومريدوها، حتى إذا ملكت القوة المتوازنة قابلت القوة بالقوة، لكن المميز لفكرة الإسلام إنها لا تفرط في استخدام القوة إلا في وجه المحاربين، فإذا انتصرت الفكرة وظفرت سامحت وغفرت.

إن موقف المسلمين من أهل الكتاب وغير المسلم يقوم على أساس الاعتراف بهم، وضمان الحرية الدينية التامة لهم، ومحاورتهم والجدال معهم بالتي هي أحسن. أما محاربتهم فهو خلاف الأصل وذلك نتيجة لمعاداتهم، وردًا لمحاربتهم.

المراجع والمصادر

- العهد القديم
- القرآن الكريم

1. ابن الاثير، علي بن محمد. أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق: عادل الرفاعي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996م.
2. ابن الأثير، علي بن محمد. الكامل في التاريخ. تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.
3. ابن الأثير، علي بن محمد. جامع الأصول في أحاديث الرسول. تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط1، مكتبة الحلواني، 1971م.
4. ابن إسحاق، محمد. السيرة النبوية. تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت: دار الكتب العلمية.
5. الأصفهاني، أبو الفرج. الأغاني. تحقيق: سمير جابر، ط2، بيروت: دار الفكر.
6. ابن أعثم، أبو محمد أحمد. الفتوح. بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م.
7. الألباني، محمد ناصر الدين. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1985م.
8. الألباني، محمد ناصر الدين. دفاع عن الحديث النبوي والسيرة. بيروت: المكتب الإسلامي.
9. الألباني، محمد ناصر الدين. السلسلة الصحيحة. الرياض: مكتبة المعارف.
10. الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته. بيروت: المكتب الإسلامي.
11. إيرفرينج، واشنطن. محمد وخلفاؤه. ترجمة ومقارنة: هاني يحيى نصري، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي، 1999م.
12. أيوب، سعيد. زوجات النبي (ص).. قراءة في تراجم أمهات المؤمنين في حركة الدعوة. ط1، بيروت: دار الهادي، 1997م.
13. بارتون، بروس. التفسير التطبيقي للكتاب المقدس. القاهرة: شركة ماستر ميديا، 1997م.
14. البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط3، بيروت: دار اليمامة، 1987م.
15. البخاري، محمد بن إسماعيل. التاريخ الكبير. حيدر أباد، 1963م.

16. البغدادي، عبد القاهر بن طاهر. الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية. ط2، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1977م.
17. البكري، عبد الله بن عبد العزيز.معجم ما استعجم. تحقيق: مصطفى السقا، ط1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1368هـ.
18. البلاذري، أحمد بن يحيى. أنساب الأشراف. تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، 1979م.
19. البلاذري. فتوح البلدان. القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي.
20. بوسه، هيربرت. أسس الحوار في القرآن الكريم.. دراسة في علاقة الإسلام باليهودية والمسيحية. ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2005م.
21. البيهقي، أحمد. دلائل النبوة. وثق أصوله: عبد المعطي قلعجي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م.
22. البيهقي، أحمد بن الحسين. السنن الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، 1994م.
23. التجاني، عبد القادر حامد. أصول الفكر السياسي في القرآن المكي. ط1، عمان: دار البشير، 1995م.
24. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط2، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، 1369هـ.
25. ابن تيمية، أحمد عبد الحليم. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي النجدي، الناشر: مكتبة ابن تيمية.
26. الجابري، محمد عابد. مدخل إلى القرآن الكريم. ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م.
27. الحاكم، محمد بن عبد الله. المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1990م.
28. الحِميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس، ط2، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة 1980م.
29. الجزيري، عبد الرحمن. الفقه على المذاهب الأربعة. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
30. جعيط، هشام. السيرة النبوية في مكة(2): تاريخية الدعوة المحمدية. بيروت: دار الطليعة، 2007م.
31. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير. ط3، بيروت: المكتب الإسلامي، 1404هـ.
32. ابن حبان، محمد. الثقات. ط1، الهند: دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، 1973م.

33. ابن حبيب، محمد بن حبيب. المحبر. بيروت: مكتبة البخاري.
34. ابن حبيب، محمد بن حبيب. المنمق في أخبار قريش. تحقيق: خورشيد أحمد فارق، ط1، بيروت: عالم الكتب، 1985م.
35. ابن حجر، أحمد بن علي .فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، 1379 هـ.
36. ابن حجر، أحمد بن علي. الإصابة في تمييز الصحابة. تحقيق: علي محمد البجاوي، ط1، بيروت: دار الجيل، 1412 هـ.
37. ابن حجر، أحمد بن علي. تهذيب التهذيب. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996م.
38. ابن حجر، أحمد بن علي. لسان الميزان. تحقيق: دائرة المعرف النظامية، ط3، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1986م.
39. ابن حزم، علي بن أحمد. الفصل في الملل والأهواء والنِّحل. القاهرة: مكتبة الخانجي.
40. ابن حزم، علي بن أحمد. المحلى. بيروت: دار الفكر.
41. الحصيني، أبو بكر بن محمد. كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار.تحقيق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، دمشق: دار الخير، 1994م.
42. حقي، إسماعيل. تفسير روح البيان. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
43. ابن الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله. فتوح مصر وأخبارها. تحقيق: محمد الحجيري، ط1، بيروت: دار الفكر، 1996م.
44. الحلبي، علي بن برهان الدين. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. بيروت: دار المعرفة. 1400هـ.
45. حمشو، حسام. السيرة النبوية من خلال الكتب الستة دراسة تحليلية. ط1، عمان: الدار العثمانية، 2008م.
46. الحموي، ياقوت. معجم البلدان. بيروت: دار الفكر.
47. حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. ط3، بيروت: دار الإرشاد، 1969م.
48. حميد، صالح. نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم. ط1، دار الوسيلة، 1418هـ.
49. الحميدي، محمد بن فتوح. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم. تحقيق: علي حسين البواب، ط2، بيروت: دار ابن حزم، حديث رقم: 1572، 2002م.
50. ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد. القاهرة: مؤسسة قرطبة.

51. الحوشان، يوسف بن حمود. الآثار الواردة عن السلف في اليهود في تفسير الطبري، جمعًا ودراسة عقدية. الرياض: كلية أصول الدين، رسالة دكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، 1424هـ.
52. ابن خزيمة، محمد بن إسحاق.صحيح ابن خزيمة.تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، بيروت: المكتب الإسلامي.
53. الخطيب، محمد بن عبد الله. مشكاة المصابيح. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط3، بيروت: المكتب الإسلامي.
54. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. تاريخ ابن خلدون. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م.
55. الدارقطني، علي بن عمر. سنن الدارقطني. تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، بيروت: دار المعرفة، 1966م.
56. الدارمي، عبدالله. سنن الدارمي. تحقيق: فؤاد أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ.
57. أبو داود، سليمان بن الأشعث. سنن أبي داود. بيروت: دار الكتاب العربي.
58. ديورانت، ول. قصة الحضارة. ط2، القاهرة: جامعة الدول العربية، 1964م.
59. الدينوري، ابن قتيبة. غريب الحديث. تحقيق: عبد الله الجبوري، ط1، بغداد: مطبعة العاني، 1397هـ.
60. الذهبي، محمد بن أحمد. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. ط1، بيروت: دار الكتاب العربي.
61. الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. ط9، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993م.
62. الذهبي، محمد بن أحمد. الموقظة في علم مصطلح الحديث.
63. الرازي، محمد بن عمر. التفسير الكبير. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م.
64. ابن رستة، أحمد بن عمر. الأعلاق النفيسة. بيروت: دار صادر، 1893م.
65. الزَّبيدي، محمّد بن محمّد. تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دار الفكر.
66. الزبيري، الزبير بن بكار. المنتخب من كتاب أزواج النبي. تحقيق: سكينة الشهابي، ط1، بيروت: الرسالة: 1403هـ.
67. الزحيلي، وهبة. الفقه الإسلامي وأدلته. ط4، دمشق: دار الفكر، 1422هـ.
68. الزحيلي، وهبة.التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. ط2، دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418 هـ.

69. الزركلي، خير الدين. الأعلام. ط15، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.
70. ابن زنجويه، حميد. كتاب الأموال. تحقيق: شاكر فياض، الرياض: مركز فيصل للبحوث، 1986م.
71. زيدان، عبد الكريم. أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1408هـ.
72. سباهي، عزيز. أصول الصابئة ومعتقداتهم الدينية. دمشق: منشورات المدى، 1996م.
73. سحاب، فكتور. إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف. بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 1992.
74. السرخسي، محمد. المبسوط. بيروت: دار المعرفة، 1993م.
75. ابن سعد. الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر.
76. ابن سعد. غزوات الرسول وسراياه. (ب. ط).
77. ابن سلام، القاسم. الأموال. تحقيق: خليل محمد هراس، بيوت: دار الفكر، 1408هـ.
78. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. الروض الأنف. تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000م.
79. ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
80. السيوطي، عبد الرحمن. الدر المنثور في التأويل بالمأثور. بيروت: دار الفكر، 1993م.
81. السيوطي، عبد الرحمن. الخصائص الكبرى. بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م.
82. ابن شبّه، عمر. تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية). تحقيق: فهيم محمد شلتوت، من منشورات دار الفكر.
83. الشريف، أحمد إبراهيم. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم. بيروت: دار الفكر العربي.
84. الشيباني، محمد بن عبد الهادي. علاقة المسلمين بالقبائل المحيطة بالمدينة في العهد النبوي.
85. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد. مصنف ابن أبي شيبة. تحقيق: محمد عوامة، ط1، الهند: الدار السلفية، 1403هـ.
86. الصفدي. الوافي بالوفيات. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2000م.
87. الصلابي، علي محمد. الدولة الأموية ..عوامل الإزدهار وتداعيات الإنهيار. بيروت: دار المعرفة، 2005م.
88. الصلابي، علي محمد. عثمان بن عفان. بيروت: دار المعرفة، 2005م.

89. الصلابي، علي. السيرة النبوية.. عرض وقائع وتحليل أحداث.. دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة. القاهرة: دار الفجر للتراث، 2003م.
90. الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2، الموصل: مكتبة العلوم الحكم، 1983م.
91. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد شاكر، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م.
92. الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك والأنبياء. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، مصر: دار المعارف، 1962م.
93. الطيالسي، سليمان بن داود. مسند أبي داود الطيالسي. تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي. ط1، الناشر: هجر للطباعة والنشر، 1999م.
94. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. التحرير والتنوير من التفسير. تونس: دار سحنون، 1997م.
95. عبد السلام، هارون. تهذيب سيرة ابن هشام. بيروت: مؤسسة الرسالة.
96. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. العقد الفريد. تحقيق: عبد المجيد الرتحيني، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1999م.
97. العتوم، علي. حركة الردة. ط2، عمّان: مكتبة الرسالة،1997م.
98. ابن عساكر، علي بن الحسن. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها. تحقيق: علي شيري، بيروت: دار الفكر.
99. العطية، عصام. القانون الدولي العام. بيروت: الدار الجامعية، 1989م.
100. علي، الحلبي. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون. بيروت: دار المعرفة، 1400هـ.
101. علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بغداد: جامعة بغداد، 1993م.
102. العمري، أكرم. السيرة النبوية الصحيحة. ط1، المدينة المنورة: مكتبة المعارف والحكم، 1992م.
103. العمري، أكرم بن ضياء. عصر الخلافة الراشدة .. محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين. مكتبة العبيكان.
104. العمري، بريك بن محمد. السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة. تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط1، دار ابن الجوزي، 1996م.
105. الغامدي، خميس. العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. السعودية: جامعة أم القرى.

106. فازيو، نبيل. الرسول المُتخيَّل قراءة نقدية في صورة النبي في الاستشراق (مونتغمري واط ومكسيم رودنسون). بيروت: منتدى المعارف، 2011م.
107. فاضل، حازم ناظم. ملتقى أهل الحديث.
108. الفاكهي. محمد بن إسحاق. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه. تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، ط2، بيروت: دار خضر، 1414هـ.
109. الفهداوي، خالد سليمان. الفقه السياسي للوثائق النبوية: المعاهدات- الأحلاف- الدبلوماسية الإسلامية. المعاهدات- الأحلاف- الدبلوماسية الإسلامية. ط1، عمان: دار عمار، 1998م.
110. القرضاوي، يوسف. موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى. ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000م.
111. القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: هشام سمير البخاري، الرياض: دار عالم الكتب، 2003م.
112. القط، مواهب. المؤرخون العرب وحركة الردة حتى القرن الرابع الهجري دراسة تاريخية منهجية. نابلس: جامعة النجاح الوطنية، 2009م.
113. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. أحكام أهل الذمة. تحقيق: صبحي الصالح، ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1994م.
114. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. زاد المعاد في هدي خير العباد. ط30، بيروت: مؤسسة الرسالة،1418 هـ.
115. كارين، آرمسترونج. محمد. ترجمة: د. فاطمة نصر، د. محمد عناني، ط2، 1998م.
116. الكتاب الشريف. التوراة والمزامير وصُحف الأنبياء والإنجيل الشريف. بيروت، 2007م.
117. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. بيروت: مكتبة المعارف.
118. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. السيرة النبوية. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1993م.
119. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م.
120. الكلبي، هشام. الأصنام. تحقيق: أحمد زكي باشا، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
121. ابن ماجه، محمد بن يزيد. سنن ابن ماجه. بيروت: دار الفكر.
122. مالك، ابن أنس. موطأ الإمام مالك. تحقيق: د. تقي الدين الندوي، ط1، دمشق: دار القلم، 1991م.

123. المباركفوري، صفي الرحمن. الرحيق المختوم. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، 1994م.
124. المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي. دار الفكر.
125. المسعودي. علي بن الحسين. مروج الذهب. مصر: دار الطباعة العامرة.
126. مسلم، ابن الحجاج. صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
127. المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. القاهرة: دار الشروق، 1999م.
128. ابن المطهر. البدء والتاريخ. (ب. ط).
129. المقريزي. أحمد بن علي. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1987م.
130. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. ط1، بيروت: دار صادر،1997م.
131. الميداني، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، بيروت: دار المعرفة.
132. الندوي، أبو الحسن. السيرة النبوية. القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامي.
133. النووي، يحيى بن شرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ط2، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ.
134. النسائي، أحمد بن شعيب. سنن النسائي الكبرى. تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991هـ.
135. نولدكه، ثيودور. تاريخ القرآن. ترجمة: جورج تامر، كولونيا: منشورات الجمل، 2008م.
136. ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية. تحقيق: طه عبد الرؤوف، بيروت: دار الجيل، 1411هـ.
137. الهلابي، عبد العزيز.عبد الله بن سبأ. حوليات الآداب الكويتية.
138. الهندي، علي بن حسام. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، ط5، بيروت: مؤسسة الرسالة،1981م.
139. هيكل، محمد حسين. حياة محمد. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1968م.
140. هيكل، محمد حسين. أبو بكر الصديق. مصر: دار المعارف،1971م.
141. وات، مونتغمري. محمد في مكة. تعريب: شعبان بركات، بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
142. الواقدي، محمد بن عمر. الردة. عمان: دار الفرقان.

143. الواقدي، محمد بن عمر. المغازي. تحقيق: مارسدن جونس، بيروت: عالم الكتب.
144. ولفنسون، إسرائيل. تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. مصـــر: مطبعة الاعتماد، 1927م.
145. ياسين، خالدة. موقف الرسول من يهود الحجاز دراسة تاريخية منهجية. نابلس: جامعـــة النجاح الوطنية، 2009م.
146. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق. تاريخ اليعقوبي. ط6، بيروت: دار صادر، 1995م.
147. أبو يعلى، أحمد بن علي. مسند أبي يعلى. تحقيق: حسين سليم أسد، ط1، دمشـــق: دار المأمون للتراث، 1984.
148. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم. الخراج. عمان: دار كنوز المعرفة العلمية، 2009م.
149. يوسف، محسن. علاقة الرسول (ص) والخلفاء الراشدين بأوروبا.